الفصل الرابع

نماذج من موضوعات الدراسة فى علم الاجتماع

تناولنا بالدراسة فى مستهل الفصل السابق أبرز النظم الاجتماعية التى توجد فى المجتمع باعتبار أن دراسة النظم مبحث أساسى فى علم الاجتماع ، بل انه يمكن القول انه علم دراسة النظم الاجتماعية لأنها تشمل على كافة نواحى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والأخلاقية ... الخ .

وقد رأينا أن نخصص هذا الفصل لمناقشة بعض موضوعات الدراسة فى هذا العلم بعد ان تعرفنا على ماهيته ومقوماته الأساسية وأبرز اتجاهات الفكر السوسيولوجى عبر التاريخ ومن شأن هذه الدراسة ان تثرى معرفتنا بالعلم ، وتزيد من المعرفة السوسيولوجية عند دارس علم الاجتماع .

وسوف نركز فى هذا المقام على دراسة بعض الموضوعات الأساسية التى حازت اهتمام العلماء والباحثين وكان لهم فيها بحوث ودراسات على درجة كبيرة من الأهمية ومن بين هذه الموضوعات ما يلى :

١ ـ دراسة مفهوم الجماعة فى علم الاجتماع .
٢ ـ العلاقات الاجتماعية .
٣ ـ التغير الاجتماعى .
٤ ـ التنظيم الاجتماعى .
٥ ـ الثقافة .
٦ ـ الضبط الاجتماعى .
٧ ـ التدرج والحراك الاجتماعى .

وجدير بالذكر أن هذه الموضوعات مترابطة فى الفهم السوسيولوجى

برغم دراستنا لهـا كل على حدة • اذ الملاحظ أنها متداخلة ومتفاعلة بعضها مع بعض وان سمة التكامل من ابرز خصائصها •

أولا ـ الجمـــاعة :

لدراســة مفهوم الجماعة اهتمام خاص فى علم الاجتماع فهى وحدة الدراسة فى هذا العلم ، على العكس من علم النفس مثلا الذى يعتبر الفرد هو محور الدراسة فيه ، فضلا عن عدم امكان الفرد بذاته ان يكون مجتمعا ، بل لابد له من الانضمام الى الجماعة حتى يمكن تلبية كافـــة الميول والرغبات واشباع هواياته كانسان •

تعريف الجماعة من خلال الفكر السوسيولوجى :

يهمنا عند وضع تعريف علمى لمفهوم الجماعة أن نستعرض مجموعة آراء علماء الاجتماع فى هذا الشأن التى تمثل خلفية علمية لتعريف الجماعة :

يرى اينهيمر Oppenheimer ان الجمـاعة تضـم مجموعـة من الافراد كبر حجمها أم صغر ، وسواء كانت هذه الجماعة لها تنظيم محدد وأهداف واضحة أم كانت غير ذلك •

ويعرف جيجر Geiger الجماعة بأنها عدد من الأفراد تتحد مشاعرهم حتى يصل الجميع الى فهم مشترك ومتكامل لمغزى كلمة « نحن » ومع ذلك فان وضع تعريف للجماعة ما زال غامضا كما يرى ذلك جيجر . وعلى أى حال فانه يمكن تعريف الجماعة من خلال تفسيرنا لطبيعة العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين الأعضـــاء ، بمعنى أن ما ينشأ بين مجموعة من الأفراد من علاقات يعتبر شرطا أساسيا فى تسمية هذه المجموعة الفردية بلفظ جماعة •

ويؤكد هذا الفهم العلامة ماكيفر Mciver الذى يعنى بمفهوم الجماعة، كل تجمع ـ ينشأ خلال الحياة الاجتماعية للأفراد ، ويشترط أن يربط بين أعضاء الجماعة نوع من العـــلاقات الاجتماعية باعتبارها السمة الدينامية لتفاعل أعضـائها •

ان الجماعة ربما تفهم على أنها عدد من الافراد لهم اهتمامات مشتركة،

ويميل بعضهم الى البعض الآخر • كما انهم يسـهمون معا فى انشطة عامة وكمثال للجماعة : الأسرة والجماعة القومية •

ويؤكد كولى Cooley على اهمية الجماعات الانسانية صغيرة الحجم ، مثل الأسرة وجماعة اللعب أو جماعة الجيرة ، وقد وضع لها اسما هو الجماعة الأولية كما قال بالجماعة الثانوية وادخل تحتها كافة التجمعات مثل الدولة والحزب والطبقة •••

ويميل علم الاجتماع المعاصر الى الاهتمام بالجماعات الصـغيرة لدراستها وبيان مدى تعاون أعضائها ، ودخولهم فى تفاعل مستمر مع البيئات الاجتماعية المتباينة ويرى بوجاردس أنه ربما يعرف علم الاجتماع بانه علم دراسة الجماعات الاجتماعية فى وظائفها وعملياتها الاجتماعية •

ونجد هومانز Homan يعرف الجماعة بالحديث عن الفعل الفردى فى اطار الجماعة ومشار الفرد تجاه الآخرين ، ومدى تفاعلهم فى اطار النسق الداخلى أو الخارجى حيث تتكون فيه العلاقات بين الأفراد بل بين الجماعات بعضها مع بعض (١) •

مما تقدم تبدو اهمية دراسة الجماعة فى الفهم السوسيولوجى فهى محور أى نشاط اجتماعى أو تفاعل بين الأعضـاء • وتجدر الاشارة الى أن التعريفات السابقة برغم تباينها فى وضع تعريف محدد لكنها مكملة لبعضها البعض بمعنى أنها فى مجموعها تشير الى أبرز خصائص الجماعة :

فهى لاتختلف فى أن أى جماعة تتكون من مجموعـة من الأفراد الذين يشكلون محتوى الجماعة أو الهيكل البشرى لها بحيث أن الفرد بذاته لايمكن أن يسمى جماعة الا باشتراكه مع الآخرين فى تكوين هذه الجماعة •

هذا الجمع العددى من الأفراد لا يمكن بحال أن يطلق عليه جماعة الا اذا كان منظما فى اطار معين وله أهداف واحدة على عكس ما يرى أو بنهيمر الذى لا يشترط هذا العنصر •

وبطبيعة الحال فان الجماعة المنظمة بهذه الصورة لاتتم الا اذا ربط بين

---

(١) Max Harkheimer : op. cit. p. 54.

أعضائها علاقات اجتماعية واضحة يتفاعل خلالها الأفراد بحيث يكون ثمرة هذه العلاقات نشأة الفهم المشترك بين الأعضاء والثبات على تحقيق أهداف محددة وواضحة يؤمن بها أعضاء الجماعة ٠

تلك هى أبرز خصائص الجمـــاعة فى الفهم السوسيولوجى ويمكن ان نخلص الى تعريف محدد لها باعتبارها مجموعة من الأفراد يربط بينهم نوع من العلاقات الاجتماعية فينشأ فهم مشترك بين الأعضاء وتتوحد مشاعرهم ويعمل الجميع على تحقيق أهداف واضحة ٠

الجماعة الأولية والجماعة الثانوية :

سبق القول أن العلامة كولى قد أوضح أن هناك جماعة أولية وأخرى ثانوية ، وعن الشكل الأول فانه يضع خصائص أساسية تتسم بها تلك الجماعة اذ يسودها علاقات الوجه للوجه ويتم التعاون بين أعضائها . وتسود بينهم الروح الجمعية التى تعطى انطباعا ودودا مع الغير ، وتبدو تلك الروح الجمعية فيما يمكن أن نطلق عليه كلمة « نحن » حيث يعيش الفرد فى شعور الجميع ، ويتمثل أهـداف الجماعة فى شعوره ووجدانه ، وليس ضروريا ان يسود الجماعة الأولية نـوع من الانسجام النسبى أو الود على طول الخط . ولكن قد نلحظ ظهور نوع من التنافر بين أعضائها ، وانفعالات تصبح ذات طبيعة اجتماعية حين يتقاسمها فرد أو أكثر ٠ وكمؤسسات للجماعة الأوليـة الأسرة ، وجماعة اللعب وجماعة الجيرة ، والمجتمع المحلى (١) ٠

ان أبسط ما توصف به الجماعة الأولية فى تفسير كولى أنهـا بسيطة التركيب المروفولوجى غير معقدة فى بنائها الوظيفى ، وبالتالى فان ما يبدو فى هذه الجماعة من مظاهر الوهن الاجتماعى وما ينشأ من مشكلات لا يقارن بحال بما يسود الجماعة الثانوية من تعقيدات ٠

ولعل تلك السمات التى وضعها كولى كخصائص للجماعة الاوليـــة تنطبق على ما أسماه ترنيز Tonnies بالمجتمع المحلى ٠ ففى دراسة له عن

---

(١) Lewis A. Coser : Sociological Theory, Second Edition, Collier Macmillan, New York 1967 p. 66.

المجتمع المحلى والمجتمع الكبير يرى أن العـــلاقات التى تسود المجتمع الأول ـ المحلى ـ تقوم على أساس اتصال فرد وآخر ، انها فعل متبادل كان تقول ان فردا ما نشيط وكثير بينما الآخر انسان كسول ومجهول ، وليس من شك فى أن تلك الأفعال تعبر عن ارادة الانسان فى الحيـــاة وتعطى فى معناها درجة من الايجاب أو السلب ٠

وتقوم نظرية المجتمع المحلى ـ باعتباره جماعة ـ على افتراض درجة من التكامل بين الارادات الفـردية الانسانية كحقيقة اجتماعية حيث يسود درجة ما من الاعتماد المتبادل بين الأفراد ، وتنمو العلاقات الناشئة عن ارادة الجماعة فى نواح معينة ، اذ قد تنشأ العلاقة بين الأم ووليدها او قد تنشأ بين الزوج وزوجته ، كما قد تنشأ أيضا علاقات بين الأطفال وأخواتهم ٠

وتنشأ وظيفة السلطة فى المجتمع المحلى ـ الجماعة ـ انطلاقا من وظيفة الأب ، ومن عوامل تكوين علاقات قوية داخل المجتمع المحلى توفر علاقات الـدم بسبب القرابة والجوار ، وتبدو هـذه العـلاقات فى أوضح صورها فى علاقات الجيرة خاصة فى القرى ، ويمكن القول أن هناك قوانين تحكم سلوك المجتمع المحلى ، فالاتصال الزواجى بـــين الزوجين عن طريق علاقات الود ـ وحسن التكيف وتبادل الخدمات حيث يفكر الاثنان بأسلوب متشابه ومن هنا ينشأ الفهم المشترك ونتيجة للشعور بالحب يمكن أن ينتظم الأفراد فى حياتهم داخل الجماعة ، كذلك فان اللغة المشتركة تلعب دورا ما فى سلوكيات الأعضاء داخل الجماعة فتظهر مشاعر متبادلة وتنمو فى المجتمع المحلى ما يمكن تسميته بسيادة روح العائلة ٠

واذا كنا نركز على توضيح خصائص الجماعة الأولية فانها تمثل وحدة الدراســـة فى علم الاجتماع كما سبق القول ـ كما تناولها بالتحليل العلمى عديد من العلماء أمثال كولى فى دراسته عن الجماعة الأولية ، كذلك تحـــدث ردفيـــلد Redfeild عن المتصـــل الريفى ـ الحضرى ، وبيكر Becker عن المجتمعات المقدسة والمجتمعات العلمانية ، كما تحـدث سوروكن Sorokin

عن العلاقات العائلية والعـــلاقات التعاقدية ، وتناول ماكس فيبر Weber دراسة أنماط توجيه الفعل الاجتماعى (١) ٠

معنى ذلك أن تونيز يعتبر المجتمع المحلى Community شكل من أشكال الجماعة الأولية Primary Group بدليل أن ما ذكره من خصائص هـذا المجتمع تتطابق الى حد بعيد مع ما ذكره كولى عن سمات الجماعة الأولية ، وفيصل القول هنا اشتراك كل من المجتمع المحلى والجماعة الأولية فى حقيقة اجتماعية هى بســاطة التركيب المورفولوجى مع بساطة فى الدور الوظيفى للفرد والجماعة ٠

ويتفق ماكيفر ، بيج مع كولى حول تحديد سمات معينـــة للجماعة الأولية ، اذ يرى الاثنان أن تلك الجماعة ان هى الا تنظيم اجتماعى يتكون من عدد من الأفراد يتقابلون وجها لوجه لتحقيق أهداف معينه مثـل تقديم مساعدة متبادلة ، أو نقاش حول بعض الموضوعات أو مناقشة السياسة العامة وغير ذلك ، ان تلك الجماعة هى بؤرة كافة التنظيمات ، انها وحدة البنـاء الاجتماعى وتبدو فى شكل أسرة أو جماعة أصدقاء ، وقد تتعقد الجماعة الأولية بحسب نشاطاتها ومن سماتها ظهور عـــلاقات اجتماعية مع الغـــير تتسم بالطابع الشخصى ، وتبدو فيها مشاعر الحب والكره والتعاون ، ويمكن القول أن هذه العلاقات الأولية تبـــدو فى خصائص المجتمعات الأولية (البدائية) أيضـــا فانها أوضح ما تكون فى القرية ، وفى الجماعة يمكن تقسيم الأفراد بحسب وظائفهم من خلال ما يقومون به من أدوار ولذلك لا ندهش اذا حدث تغير فى بناء وظيفة تلك الجماعة الأولية (٢) ٠

فكان ماكيفر يتفق مع سابقيه حول خصائص الجماعة الأولية وان كان قد أضاف عنصر الدينامية فى أدوار الأفراد فيها ومن ثم يمكن حدوث التغير فى بنائها ووظيفتها ، أى أن هذه الجماعة يمكن اذا تعقدت العلاقات داخلهـا

---

(١) Ferdinand Tonnies : Community and society Trans by Charles P. Loomis ; The Michigan state Univ. Press, U.S.A. 1964 p. 33.

(٢) R. M Mnciver and cherles H. Page : Society an Introductory analysis. Macmillan Co. London, 1953 p. 218.

واتسع نطاقها المورفولوجى بفعل عوامل كثيرة فى هذه الحالة يمكن ان تصبح جماعة ثانوية ٠

وعلى العكس من السمات السابقة التى ذكرناها عن الجماعة الأولية تبدو صورة الجماعة الثانوية حيث تتميز باتساع تركيبها المورفولوجى وتمايز أدوار الأفراد فيها وتعقد العلاقات داخلها ، وربما كان يقصد تونيز بهذه الخصائص ما يتسم به المجتمع الكبير ، ونجد العلامة دوركايم يميز بين شكلين من أشكال التضامن ، هناك التضامن الآلى حيث تذوب شخصية الفرد فى شخصية الجماعة عما حدث قديما وما زال سائدا فى المجتمعات المعزولة ، وهناك الشكل الثانى من اشكال التضامن وهو التضامن العضوى ويسود المجتمعات الراقية المعقدة فى تركيبها حيث يشعر الفرد بكامل حريته فى تنظيم أمور نفسه وعلاقاته مع الآخرين (١) ٠

وبطبيعة الحال فان ما يعنى به دوركايم من تضامن آلى انما يسود الجماعة الأولية وذلك بالتطبيق على ما ذكرناه من سمات هذه الجماعة على عكس التضامن العضوى حيث يمكن أن يسود الجماعة الثانوية التى تتحرر فيها ارادة الانسان من سيطرة وسائل الضبط الاجتماعى بشكل آلى على سلوكه ٠

غير أنه يمكن القول أن الفصل بين الجماعة الأولية والجماعة الثانوية انما هو فصل نظرى لمجرد الدراسة اذ أن هناك فى الواقع الاجتماعى تداخلا بينهما ، فالريف كجماعة أولية له اتصال بالحضر كجماعة ثانوية وفقا للمعايير والسمات السابقة ٠ وكلا الاثنين ـ الجماعة الأولية والجماعة الثانوية ـ يمثلان اطارا عاما للمجتمع الكبير ٠

ومن هنا نخلص الى أهمية دراسة الجماعة باعتبارها الوحدة الاجتماعية الأساسية فى تركيب المجتمع ٠ فضلا عن أن الانسان حيوان اجتماعى وأن تفاعله الاجتماعى لايتم الا من خلال ارتباطه بجماعة مستقرة ، انه يولد حاملا موروثات فيزيقية ، لكنه يصبح كائنا اجتماعيا له شخصيته المميزة عن طريق التفاعل مع غيره من الأفراد والجماعات ، وعن طريق عملية

---

(١) د ٠ مصطفى الخشاب : المدارس الاجتماعية المعاصرة دار المعارف بمصر ١٩٧٥ ، ص ١٨٩ ٠

التفاعل هذه تبرز كينونة الفرد كانسان متميزا عن الحيوان ذلك أنه لا يمكن أن يتم التفاعل الا بين انسان وآخر ، وبينهما وسيلة اتصال ويعملان معا لتحقيق غرض محدد او وظيفة وهدف ، فالميل الى العمل هو أحد الخصائص الهامة فى الكائنات الانسانية وان كانت بعض الحيوانات تشارك الانسان هذه السمة حيث قد يميل الى غيرها فى تبعية غير راشدة بالطبع ولكن الانسان يستطيع أن يتميز عليها فى أنه يستطيع أن يحدث تطويرا مستمرا فى جماعته أى يؤثر فيها ، ولا يمكن بحال القول بأن ميل الانسان الى الوجود انما يحدث بالتبعية كالحيوان وانما يتم ذلك عن طريق السلوك الاجتماعى والفعل الرشيد الذى يبدو فى اظهر معاينة عن طريق الخبرة الواسعة للجماعة عبر العصور • ويرى لينترن Linton أن الميل الى تكوين جماعات ينمو حين يعتمد الطفل على الغير ويحدد سلوكه وفقا لعلاقات داخلية يكونها الطفل مع أفراد أسرته خلال فترة طفولته ، ويرى سيمل Simmel أن العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة انما تتم عن طريق اندماج الطفل مع جماعته وبالتالى تنشأ بينه وبينها علاقات (١) •

هكذا تصبح دراسة الجماعة احد المباحث الجوهرية فى علم الاجتماع ، لهذا رأينا أن نبدأ بها موضوعات الدراسة فى هذا الفصل ، لننتقل بعدها الى دراسة مفهوم العلاقات الاجتماعية التى تسود الجماعة •

ثانيا ـ العلاقات الاجتماعيـــة :

نتناول دراسة العلاقات الاجتماعية التى تسود الجماعات الانسانية من خلال استعراضنا للعناصر التالية :

١ ـ أهمية دراسة العلاقات الاجتماعية •

٢ ـ الاتجاه السوسيولوجى فى فهم العلاقات الاجتماعية •

٣ ـ دينامية العلاقات الاجتماعية من خلال محتوى الدور الاجتماعى •

٤ ـ أشكال العلاقات الاجتماعية كما تبدو فى المجتمع •

وسوف نقوم بتفصـــيل تلك العنـــاصر فيما يلى وبحسب الترتيب الســـابق •

---

(١) Merrill : Society and Culture, Prentice-Hal, Inc. 4th Edition, 1956 p. 46.

أما من حيث أهمية دراسة العلاقات ، يتساءل أولسن Olsen عن سبب اهتمام الأفراد بضرورة خلق علاقات اجتماعية ؟ ويرى أن الاجابة على هذا التساؤل ترجع الى الدوافع المختلفة التى تشجع هؤلاء الافراد لخلق علاقات اجتماعية فيما بينهم ، ويحصر تلك الدوافع فيما يلى :

أولا ـ الجزاء الذاتى : اذ يطور الأفراد والجماعات علاقاتهم لأنها تتسبب فى اشباع رضاهم النفسى مع الآخرين حيث يلتمسون المتعة فى صحبة الغير الامر الذى يدفعهم الى البحث عن الصداقة والحب والارتباط بأى انسان آخر .

ثانيا ـ الاهتمامات العامة : وبصرف النظر عن كافة الوان الرعاية الاجتماعية الناشئة من توفر علاقات سوية أو حتى مجرد اهتمام الغير بالفرد ، فان وجود علاقات اجتماعية تخلق مناخا من الاهتمامات المشتركة بين الجماعات وتجعلهم يتواجدون معا وتمدهم بالاساس الاجتماعى لاستمرار علاقاتهم ، وفضلا عن ذلك تخلق عندهم هدفا متفقا عليه يتعاون الجميع من أجل تحقيقه ، وغالبا ما تؤدى العلاقات الاجتماعية الى وضع نموذج واضح لتفاعل اجتماعى معبر ذو هدف واضح .

ثالثا ـ التوقع والاضطرار : حيث يشعر الفاعلون الاجتماعيون بالتوقعات والاضطرارات تجاه بعضهم البعض ، وتحتوى هذه التوقعات على صورة من صور العلاقات الاجتماعية بين الفاعلين الذين يتقاسموا فيما بينهم الاهتمامات المشتركة ، وربما تبنى العلاقات الاجتماعية على ضرورة توفير تقاليد لها جذور ضاربة فى القدم مثل تلك العلاقات التى سادت بين اللوردات والفلاحين فى العهد الاقطاعى فى اوربا مثلا ، كما تكون هناك ايضا علاقات وقتية مثلما يحدث بين الطبيب ومريضه ، فالعلاقات هنا مرتبطة بالعلاج من أجل الشفاء ، وقد يكون من عوامل نشأة العلاقات التشابه فى الأخلاق والديانة تكون العلاقات مقررة بحكم القانون .

رابعا ـ الاعتماد المتبادل : تقوم الحياة الاجتماعية على الاعتماد المتبادل بين الأفراد داخل البيئة الاجتماعية المعقدة خاصة فى الأنشطة والمعتقدات ، فالدين يطالب الفرد أن يحب لجاره مثلما يحب لنفسه ، كما قد الاقتصادية ، حيث أن سلسلة من العلاقات الاجتماعية ، غالبا ما ينشأ بين منتجى المواد الأولية وبين الصناع والمصدرين والمستهلكين كذلك فان البرامج التنموية والخدمية ، مثل مشروعات الاسكان والخدمات الصحية ومياه الشرب وغيرها كلها مشروعات تعتمد أيضا على صورة الاعتماد المتبادل فى المجتمعات الحاضرة ، وقد لاتبدو هذه الصورة فى المجتمعات البدائية حيث الحياة بسيطة وتعتمد على الاكتفاء الذاتى ، وظاهرة الاكتفاء الذاتى لا يمكن بحال أن تكون صورة المجتمع الحديث ذلك أن الانسان المتحضر لا يمكنه أن يعيش بمفرده فكم منا محتاج الى طعام وملبس ومسكن وكافة ضرورات الحياة خاصة فى البيئات الطبيعية القاسية وبدون شك فان الاعتماد المتبادل هو اذن الأساس الاضطرارى لنشأة العلاقات الاجتماعية من أجل خلق تنظيم اجتماعى فى المجتمع الحديث .

خامسا ـ القوة : اذ غالبا ما تحتاج العلاقات الاجتماعية الى عنصر القوة كعملية اجتماعية ضابطة لسلوك الأفراد والجماعات من أجل سيادة علاقات سوية .

وتجدر الاشارة الى أن أحد هذه العوامل المفسرة لنشأة العلاقات الاجتماعية ربما يكون متميزا فى التحليل السوسيولوجى عن باقى العوامل ومرد ذلك الموقف الاجتماعى السائد (١) .

وليس من شك فى أن هذه الأسس المختلفة لنشأة العلاقات الاجتماعية فى المجتمع تمثل بالضرورة أهمية توافر تلك العلاقات ، اذ لا يتصور قيام علاقات اجتماعية والفرد فى معزل عن الغير ذلك لأنه يحيا حياة اجتماعية يحتاج الى الآخرين الذين هم بالتالى فى حاجة الى جهوده ونشاطاته ، ولا يمكن بالطبع تلبية كافة احتياجات الأفراد والجماعات فى المجتمع وهم

(١) Marvin E. Olsen : The Process of social organization ; Holt, New York, 1968 p. 33.

فرادى أولا تربطهم صـــلات معينة ، ومن هنا كانت أهميـــة خلق علاقات اجتماعية بين الجميع وقد تنشأ علاقات خاصـــة مع أفراد بالذات أو جماعات نظرا لتبادل المصالح والخدمات ، وقـد تنشأ علاقات اجتماعية عامة ، يرى الجميع ضرورة وجودها من أجل بناء المجتمع واستمراره وتقدمه ٠

- ٢ -

أما بشأن الاتجاه السوسيولوجى فى فهم العلاقات الاجتماعية ـ فتجدر الاشارة الى أن ـ علاقات الأفراد مع مجتمعاتهم قـد أثارت اهتمام المفكرين والعلماء منذ فترة طويلة من الزمان لدرجة أنهم تساءلوا فيما بينهم ايهما أسبق فى الوجود الفـــرد ام المجتمع وما هى الفلسفة أو الغاية من الحيـاة الاجتماعية هل هى تحقيق السعادة الفردية أم الاجتماعية ؟ ٠

وكان لهذه التساؤلات اجابات شتى ومتباينة فى دراســة العلاقات الاجتماعية ويمكن أن نجمل هذه الاجابات فى اتجاهات أربعة : الاتجاه الفردى فى تفسير العلاقات الاجتماعية ٠ الاتجـــاه الاجتماعى الواقعى ٠ الاتجـــاه التفاعلى ٠ الاتجاه التكاملى وسوف نقول كلمة عن كل اتجـــاه من هذه الاتجـــاهات ٠

اذ يعتقد أصحاب الاتجاه الفردى أن المجتمع ليس له وجود . أنه من وحى الخيال ذلك لأن الفرد أسبق فى الوجود منـه ، ومن هنا فان دراســة العلاقات الاجتماعية انما تجىء من دراستنا لحياة الفرد لأنه محـــور الحياة الاجتماعية والباعث لها ، فضلا عن أن ما يبدو فى المجتمع من توافر مشكلات مختلفة انمـا مردها الى الأفراد ذلك لأن المشـــكلة الاجتماعية هى مجموع مشكلات جمع من الأفراد ٠ ومن هنا يمكن القول بان غاية الحياة الاجتماعية فى اطار هذا الاتجاه الفردى هى سعادة الفرد الا أنهم تباينوا فى كيفية تحقيق هذه الغاية فينصح فريق منهم الفرد بان يتخلى عن أنانيته حتى يمكن لـه تحقيق مصالحه الذاتية بأية وسيلة كانت ٠ وان كان هناك فريق معتـــدل يرى أن سعادة الفرد والجماعة لاتتعارضان ، ومن ثم فان تحقيق السـعادة لاحدهما هو فى ذات الوقت تحقيق لسعادة المجموع ، وبالتالى تتحقق الغاية من الحيـاة الاجتماعيـة ٠ ومن هنـا نستطيع أن نلمس روح التطـــوريين

للآراء المتطرفة لأصحاب الاتجـــاه الفردى حتى تواكب التطـــورات الاجتماعية الحـــديثة ٠

ويقلل الاتجاه الاجتماعى الواقعى من شأن الدور الذى يقوم به الفـرد ٠٠ لأن فلسفة هذا الاتجاه ترمى الى تذويب الفردية فى اطار العقل الجمعى أو الارادة الكلية وفى نظر أصحاب هذا الاتجاه أن المجتمع أسبق فى الوجود من الفرد ، كذلك فان ما يسود من عادات وتقاليد تعبر عن روح الاجتماع أفضل بكثير من نزعات الفرد النفسية ذلك أن هذه الميول والاتجاهات الفردية انما تنبثق من الطبيعة الاجتماعية التلقائية التى تستند الى قوة الزام العقل الجمعى ممثلة فى وسائل الضبط الاجتماعى الرسمية منها أو الاجتماعية ، من هنا كانت غاية الحياة الاجتماعية تاكيد سلطة المجتمع على أفراده ٠ ويذهب الى أكثر من هذا العلامة دوركايم حين يتصور أن أول ديانة ظهرت هى عبادة الفرد لمجتمعه ، وأن السلطة الدينية هى ســـلطة اجتماعية انبثقت من قلب الجماعة ٠ وجدير بالذكر أن المجتمع لكى يحتفظ بكيانه وسلطانه يلزم ان يغرس فى نفوس الأفراد ضرورة الارتباط الدائم به وتعلقه بوحدته ٠ ويذهب أنصار هذا الاتجاه أيضا الى ضرورة تاليف الذوات الفردية حتى نعيش حياة اجتماعية ويسود التفكير الجمعى فكر الأفراد ٠

ويرى ليفى بريل من أنصار الاتجاه الواقعى ـ أن الفرد مجرد آلة تعكس آراء مجتمعه وطريقة التفكير ، كذلك أوضح تاثير التحضر أو التخلف فى أسلوب تفكير الفرد ٠

ـ وهناك ثالثا الاتجاه التفاعلى الذى لا يعير المناقشات الدائرة حول علاقة الفرد بالمجتمع وأيهما أسبق فى الوجود ، لا يعيرها اهتماما ، وكل ما يهم هذا الاتجاه ظهور علاقات اجتماعية متبادلة بين الجميع وتعتبر جوهر الحياة الاجتماعية ودعامتها ، ولهذا يطالب هذا الاتجاه بان يقتصر علم الاجتماع على دراسة العلاقات الانسانية التى تنشئها الجماعات البشرية ٠ ولهذا الاتجاه مذاهب شتى منها ما درست العلاقات الاجتماعية بتتبع اجتماعية الكائنات الحية فى المستويات الأدنى من البشرية ٠ ويطلق على هذا المذهب . المدرسة البيولوجية الاجتماعية ، كما حاول أنصار الدراسات الأنثروبولوجية تفسير العلاقات الاجتماعية فى ضوء الاعتبارات العنصرية أو السلالية ، وهناك مذهب

دراسة العلاقات مجـــردة وعرف بمدرسة العلاقات ومن أشهر زعمائه جورج سيمل ، كما نادت المدرسة الأمريكية الاجتماعية بتفاعل العلاقات بين الفرد والمجتمع ، ويعطى كولى أهمية العنصر الروحى فى العلاقات الاجتماعية فهو يعتبر التجانب الروحى أساسا للصلات الاجتماعية ٠

وهكذا يبدو التباين واضحا فى كافة آراء الاتجاهات الثلاثة الدراسة لطبيعة العلاقات الاجتماعية فمنها ما يعبر عن الجانب السيكولوجى ومنها ما يعبر عن الجانب التفاعلى أو الانثروبولوجى وغير ذلك ٠ لكن نظرتنا لفهم العلاقات الاجتماعية يجدر أن تكون نظرة تكاملية فى الدراسات الاجتماعية ٠ ولهذا ظهر الاتجاه التكاملى فى دراسة هذه العلاقات من منظور أعم وأشـــمل ويعالج طبيعة العلاقات الاجتماعية التى تقوم بين الأفراد الذين تربط بينهم الأهداف المشتركة والنشاط المنظم حيث تنشأ العلاقات فيما بينهم نشـأة تلقائية لتقابل هذه الاهداف وتحدد مواقف وأدوار الأفراد وفقا لطبيعة الموقف الذى يتاثر بطبيعة الحال بالتركيب المورفولوجى للجماعة أو المجتمع معنى ذلك أن العـــلاقات الاجتماعية تتسم بالديناميه والتطور ســواء من حيث انتشارها فى الأجهـــزة والمؤسسات والتنظيمات الاجتماعية أو انتقال تلك العلاقات من الشكل البسيط الى الشكل المركب حسب شـــدة وتعقد البنـــاء الاجتماعى ٠

ويمثل العلامة الأمريكى ماكيفر هذا الاتجاه التكاملى اذ يربط بين ظهور العلاقات الاجتماعية والبيئة الاجتماعية التى نشأت فيها وأشكال الجماعات على اختلاف أنماطها ووظائفها ٠ والمجتمع فى نظر ماكيفر هيكل لمـا يســفر عنه تنظيم العلاقات البشرية من صور مجردة ويمثل أنواع من التجمعات : الجماعات وهى الوسط العام الذى تنشأ فيه العلاقات الاجتماعية محـــدودة النطاق ، ثم الهيئات والتشكيلات وتتسم بتلقائية نشأتها لتغطية مصالح الجماعة ومن أمثلة هـــذه التشكيلات الطبقات الاجتماعية ٠ وثالث أنواع التجمعات المؤسسات والمنظمات التى أنشئت لتحقيق أغراض محددة ٠ وكلما تكاثرت هذه المؤسسات كلما نما المجتمع وازداد تعقيدا ٠

العلاقات الاجتماعية وفقا لهذا التقسيم تبدو فى مظهرين : المظهر المادى حيث يظهر الأفراد فى صورة جماعات فى قرى أو عشائر أو مدن ويغطى هذا

الشكل نظم تنعكس فيها أنماط العلاقات الاجتماعية • تلك النظم تظهر فى شكل طقوس وعادات وعقائد وآداب • أما المظهر الروحى وهو ما يطلق عليه ماكيفر بعاطفة الجماعة فان له أهمية خاصة فهو الذى يدفع الأفراد الى الاسهام المشترك ويغذى فيهم ذكريات الجماعة وتقاليدها وعاداتها وكلما تقادمت مظاهر هذا الجانب الروحى كلما تقبل الأفراد أحكامه وكأنها صادرة عن نزعة ذاتية تعبر عن عاطفة الجماعة • وهى فى نظر ماكيفر الشعور بالتبعية والتعلق بالجماعة والفناء فيها •

وفوق ذلك فانه يوجد فى اطار الجماعة الشعور بالمرتبة او الدور الذى يلعبه الأفراد فى العلاقات الاجتماعية • هذا الشعور لابد أن يتدرب عليه الفرد منذ نعومة اظاهره عن طريق عملية التطبيع الاجتماعى •

ومن انصار الاتجاه التكاملى فى فرنسا العلامة جورفتش حيث يرى أن هناك علاقات اجتماعية تسود الفئات بسيطة التركيب وجعلها موضوعا لدراسة مستقلة أطلق عليها Microsociologie ويعنى بدراسة العلاقات المباشرة فى نشأتها التلقائية عن طريق التفاعل أو اتخذت مظهر التيارات العامة واهم ما يميز هذه العلاقات روح الزمالة ويعتبر المركز الاجتماعى أبسط عناصر البناء الاجتماعى فالجماعات تتألف من شبكة من المراكز ويرتبط كل مركز بنمط معين من العلاقات •

أما النمط الثانى من العلاقات وهو الذى أطلق عليه جورفتش Macrosociologie فيعنى بدراسة مظاهر الروح الاجتماعية التى تقوم وفقا لقواعد منتظمة وعادات رسخت فى المنظمات الاجتماعية التى تقوم بوظائف مرسومة ومحددة لها هدف واضح • ومن شان هذه الدراسة تتبع تطور العلاقات الاجتماعية فى مظاهرها الأولية الى مراحل تكوينها للنظم وهذا يفسر سر خضوع الأفراد للنظم طواعية دون قهر (١) •

تلك هى أبرز اتجاهات الفكر السوسيولوجى المفسرة لطبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة فى التجمعات الاجتماعية ابتداء من أبسط أشكالها تركيبها

---

(١) د • أحمد الخشاب : العلاقات الاجتماعية • الطبعة الأولى • الأنجلو المصرية ١٩٥٧ ، ص ١٢ ص ١٠٨ •

حتى أشدها تعقيدا ، وواضح من هذا العرض حدوث تباين وجهات نظر علماء الاجتماع فى تفسير أصول هذه العلاقات فمن نزعة فردية الى نزعة اجتماعية واقعية الى نزعة تفاعلية • معنى هذا ان كل جانب يحاول تصوير العلاقات الاجتماعية من منظور خاص يتطابق والاتجاه الفكرى الذى يعتقد فى أهميته ، ومن هنا كانت فعالية الشمولية التكاملية فى فهم طبيعة اصول العلاقات الاجتماعية ، تلك النظرة التى يمثلها كل من ماكيفر فى امريكا وجرفتش فى فرنسا والتى تحاول أن تبسط تفسير العلاقات من خلال الواقع الاجتماعى والأشكال الاجتماعية التى تظهر فيه هذه العلاقات • ونضيف عن ذلك فانها لاتهتم بمن هو أسبق فى الوجود الفرد أم المجتمع أو من هو صاحب المصلحة الاجتماعية الحقيقية الفرد أم المجتمع ؟ ويحاول هذا الاتجاه التكاملى ـ من نظرة تحليلية ـ أن يربط العلاقات الاجتماعية بالأشكال التى تبدو فيها ، وفضلا عن ذلك يحاول أن يفسر العلاقات فى اطار الموقف الاجتماعى العام مع ابراز كافة المؤثرات المجتمعية التى يتاثر بها هذا الموقف لأن من شأن ذلك النظر فى موضوعية تامة لكل جوانب المشكلة • وفى ذات الوقت يحاول تحليل أسس تكوين هذه العلاقات من ظهور أدوار اجتماعية للأفراد والجماعات أو مكانات اجتماعية تلعب دورا هاما فى صياغة شكل العلاقات القائمة •

- ٣ -

خلصنا من الفقرة السابقة الى أن الدور الذى يتميز به الفرد داخل الجماعة أو المكانة الاجتماعية له يمثل اطارا مرجعيا لاصول العلاقات القائمة • ولهذا رأينا أن نناقش هذه القضية بشىء من التفصيل فى هذه الفقره فى اطار ما أسميناه : بدينامية العلاقات الاجتماعية من خلال محتوى الدور الاجتماعى، وبمعنى آخر كيف يؤثر ظهور الدور الاجتماعى للفرد داخل الجماعة فى صياغة أنماط معينة من العلاقات الاجتماعية ؟ والى اى حد يعمل هذا الدور على تطوير هذه العلاقات أو على العكس يعمل على جمودها ؟

للاجابة على هذا التساؤل فانه من الأهمية بمكان أن نتعرف على التأصيل النظرى لمفهوم الدور وعلاقته بمفهوم الفعل الاجتماعى من خلال تراث الفكر السوسيولوجى •

وبادىء ذى بدء يجب أن نقرر أن مفهوم الدور ليس من اختراع الأنثروبولوجيين أو الاجتماعيين فقد استخدمه باحثون آخرون فى مجالات أخرى خاصة فى مجال المسرح وعن طريق تفسير واضح لمفهوم الدور فانه يمكن بالتالى تصنيف الناس الى آباء أو قسس أو أطباء أو رجال أعمال ... الخ بحسب مكانة كل فرد ودوره ومسئوليته الاجتماعية • وما كان للأفراد أن يكون لهم دور واضح فى المجتمع الا عن طريق وجود لغة مشتركة يستخدمها الأنثروبولوجيون وكذلك الاجتماعيون فى تحليل دور كل فرد فى المجتمع ، وبطبيعة الحال يعرفنا هذا التحليل مدى التداخل بين الفرد والمجتمع فى اطار استراتيجى يوضح السلوك الفردى باعتباره اساسا سلوكا اجتماعيا عن طريقة تتميز خصائص الناس • وهذه حقيقة لا نحتاج الى تأكيدها • وزيادة فى الايضاح فان المجتمعات المعاصرة مجتمعات معقدة ، ولا يمكن لنا كاجتماعيين أن نتحدث عن أفراد فى هذه المجتمعات ، وانما نتحدث عن جماعات تستقر فيها انماط من المعايير والقيم والقواعد وأنواع السلوك والنظم والأفعال التى تؤدى الى توقعات معينة وأهداف ومسئوليات واضحة ، كل هذا التحليل انما يدخل فى اطار باب العلاقات • وبتفسير مفهوم الدور كان من الواجب علينا الا نلجأ الى التفسير الفردى • وانما ننظر الى الدور فى اطار الخلاقات الكائنة بين جماعات من الناس حتى يمكن أن نعرف الدور من خلال السلوك الجماعى أو الطبقى وبالتالى يمكن أن نعطى تأثيرا تجاه ما يتوقعه الفاعل الفرد ازاء سلوك الغير (١) •

ويرى بيرجر Peter L. Berger ان نظرية الدور كان لها محلول تطورى فى الفهم الأمريكى ، ساهم فى ارساء مقوماتها وليم جيمس James وتشارلز كولى Cooley وميد G. M. Mead ويهتم بيرجر فى هذا المقام بمفهوم الدور من خلال فهم توماس Thomas وعلاقته بالموقف ، اذ الموقف فى فهم توماس انما يتم بين فردين لهما اهتمامات مشتركة ، وبذلك يخلقون موقفا تظهر خلاله توقعات خاصة واستجابات • وهناك قول بأن المجتمع

---

(١) S. . Nadel : the theory of social structure, the free press of glenceo, illioins first published 1957 p. 20.

انما يوجد طالما وجد الأفراد ونشأت بينهم مواقف اجتماعية ، بمعنى ذلك أن الدور انما يتم من خلال موقف معين .

وفى الفهم السوسيولوجى فان الدور يمكن تعلمه عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية ، وقد ينظر الى الدور من خلال منظور سيكولوجى باعتباره من أنماط شخصية القائم به ، وفوق ذلك فان للدور مدلولا فى الفهم الأنثروبولوجى باعتبار أن الفرد يوجد فى مجتمع وبالتالى يلزم أن يكون له أدوار اجتماعية (١) .

اذن فالدور الاجتماعى للفرد أو الجماعة يرتبط بتوفر موقف معين . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان هناك مؤثرات تقليدية أو قيمية تعد بمثابة موجهات للدور بحيث يتمكن الفرد من ترجمة دوره فى اطار الجماعة التى يحيا فيها فيسلك سلوكا يتفق وقيم هذه الجماعة اذا أراد أن يكون له علاقات اجتماعية سوية وأن يشبع كافة ميوله واتجاهاته باعتباره عضوا فى جماعة .

ويرتبط الدور بمفهوم الفعل الاجتماعى فى اطار الأسس المفسرة لطبيعة العلاقات الاجتماعية فى الجماعة ، نلاحظ أن ماكس فيبر Max Weber يرى أن الفعل الاجتماعى لا يتعلق بحاضر الجماعة فحسب وانما قد يمتد الى ماضيها أو قد يتوفر فى خصائصه عنصر التنبؤ بسلوك الآخرين مستقبلا وبطبيعة الحال فان الفعل لا يعد اجتماعيا اذا ارتكز الى حالة التأمل الفردى وانما ينبغى لكى يكون هكذا أن يخضع للموجات الاجتماعية والقيمية والأخلاقية التى تسود المجتمع ، ويعد النشاط الاقتصادى على سبيل المثال فعلا اجتماعيا اذا أخذ فى الحسبان توقعات الغير عن هدف هذه الأنشطة بمعنى أن ارادة الآخرين ربما توجه السلوك الاقتصادى مستقبلا باعتبار أنها تمثل أداة ضابطة لأفعال المنتج والمستهلك على حد سواء (٢) .

يشترك اذن كل من الدور والفعل الاجتماعى فى خاصية خضوعهما

---

(١) Dennis H. Wrong & Hary L. gracey : Readings in introductory sociology, the Macmillan comp, London, 1969 p. 107.

(٢) Max Weber : The Theory of social and Economic organization, Trans, by Persons, the free Press of glencoe Collier-Macmilian, U.S.A. 1964 p. 122.

لمؤثرات أو موجهات اجتماعية كالتقاليد أو القيم وغيرها وبذلك يكون الفعل اجتماعيا أو الدور هكذا ، وتجدر الاشارة الى أن هناك ترابطا فى الواقع الاجتماعى بين المفهومين ، فالفعل هو الترجمة العملية لمفهوم الدور باعتباره يمثل مجموعة المتطلبات الوظيفية بالمفهوم الشامل ٠

واتـه من خلال تحليل ماكس فيبر للعلاقات الاجتماعية يبدو التفاعل بين هذه المفاهيم فى واقع ملموس ، ذلك أن فيبر يحلل تلك العلاقات من منطلق أنها تتم بين فردين مثلا فى موقف معين ٠ يترقب أحدهما تصرفات وأفعال الطرف الآخر ويعمل لذلك حسابا بأسلوب واع ، فالعلاقات بهذا المعنى تشتمل على عنصر الاحتمال والتوقع ، والتعريف بهذا المعنى يلزم أن يشتمل على التوجيه المتبادل لفرد مع آخر أو جماعة مع أخرى ، وقد يحتوى مفهوم العلاقات على عنصر التباين نتيجة للصراع الذى قد ينشأ نتيجة سوء التكيف مع الظروف التى تحكم افعال الاثنين ، وفى الوقت ذاته ، فان العلاقات الاجتماعية قد يتوفر فيها عنصر التجاذب والصداقة ، ويعطى فيبر للعلاقات مجالا تنمو فيه فيشير الى أنها تبدو فى كافة منظمات المجتمع مثل الأسرة والكنيسة ، كما تبدو العلاقات أيضا فى مجال الحزب حيث تتبادل الأحزاب عناصر التوجيه من خلال علاقات متبادلة ليست بالضرورة علاقات واضحة أو مباشرة ، وقد يبدو التوجيه فى العلاقات معتمدا على سلوك وأفعال الأحزاب فى اطار الكل الاجتماعى ٠

وهناك نقطة جديرة بالذكر فى مفهوم فيبر وهى أن العلاقات الاجتماعية قد تختلف وتتغير بحسب المجال الذى تبدو فيه ، مثال ذلك أن العلاقات السياسية قد تتحول من علاقات مهادنة الى علاقات صراعية اذا كان هناك موقف يدعو الى ذلك كان يحاول حزب بعينه أن يكون له سلطة التوجيه بهدف فرض ارادته ضد ارادة الأحزاب الأخرى وقد لا يتصاعد الموقف الى صراع وانما يكتفى بموقف تنافس اذا اريد التوصل الى درجة من ضبط الصراع ٠ أن العلاقات الاجتماعية فى نهاية الأمر ان هى الا نسق من السلوك الانسانى بكل معانيه (١) وهكذا يحلل فيبر العلاقات الاجتماعية الديناميه ويحاول بكل

---

(١) Max Weber : Busic Concepts in sociology trans by H.P. secher, the citaael press, New York, 1963 p. 63.

السبل أن يوضح كافة المؤثرات أو الموجهات الاجتماعية التى تحافظ على عنصر الدينامية فى العلاقات ٠

خلاصة القول فى هذا المجال أن تكوين علاقات اجتماعية دينامية لا يتم فى حالة ثبات الأفراد وانعزالهم بعضهم عن بعض ، ولكن لكى تنشأ علاقات اجتماعية يلزم أن يكون للفرد الفاعل Actor داخل الجماعة دور محدد وواضح تعكسه علميا أفعاله وسلوكه بحيث يؤدى الى ترابط أعضاء الجماعة اذا أحسن توجيه أدوار وأفعال الأجزاء فتنشأ حينئذ علاقات دينامية تتطور الى أفضل ، وعلى العكس قد تتطور تلك العلاقات الى اسوأ بمقدار درجة تفاعل الأعضاء بعضهم مع بعض فى اطار موقف اجتماعى معين ٠

- ٤ -

تحدثنا فى الفقرات السابقة عن الأسس الفلسفية لطبيعة العلاقات الاجتماعية ونشأتها وتطورها ، بقى لنا أن نقول أن هذه العلاقات تبدو فى الواقع الاجتماعى فى صورة عمليات اجتماعية مختلفة تمثل الاطار الفعلى لفلسفة هذه العلاقات ، بمعنى آخر هناك عمليات اجتماعية تؤدى الى علاقات موحدة تعمل على استقرار وثبات البناء الاجتماعى ، كما أن هناك عمليات اجتماعية أخرى تؤدى الى خلق علاقات سلبية تعمل على احداث نوع من الوهن والفوضى الاجتماعية ، وسوف نشير الى ذلك فيما يلى (١) ٠

أولا : التفاعل : التفاعل عملية أساسية فى حياة الجماعة ، فالطفل يبدأ تفاعله الاجتماعى مع الآخرين فى الأسرة بأسلوب سوى اذا كان هذا التفاعل مع الغير يتم فى اطار سليم ، كذلك لايستطيع المراهق أن ينمو اجتماعيا الا من خلال مواقف اجتماعية تكفل حدوث تفاعل سوى داخل اطار جماعة اجتماعية ٠ وكما يتم التفاعل بين فرد وآخر ، فكذلك تتفاعل الجماعات مع غيرها وان كانت تتمايز عن بعضها البعض ٠ وتفيد عملية التفاعل هذه فى تنشيط الفكر والفعل وخلق حركة دينامية تساعد على تطوير حياة الجماعة

---

(١) Emory S. Bogardus : Sociology, New York The Macmillan comp. 4th Edition 1954 pp. 522 - 533.

ولا يتم ذلك الا اذا قام التفاعل بين الأفراد على أسس ثابتـــة من علاقات اجتماعية راسخة خاصة اذا كانت هناك علاقات جوار وصلة ، وحينئذ تتوفر فرص أقوى لتبادل التأثير بين الطرفين وتنمو العلاقات بفعل التفاعل الخـلاق بين الجميـــع ٠

ومن منظور اكولوجى نشاهد أن الحياة الحضرية تجبر الأفراد على أن يكونوا فى اهتمام شخصى ونادرا ما يعملون اهتماما لبعضهم البعض طالمـا افتقدوا الرابطة الوثيقة بينهم ومن ثم فان العلاقات الاجتماعية تربط بين الجماعات وتخلق بينهم مصالح متشابكة وفضلا عن ذلك فانها تنمى فى الفرد والجماعة روح الاجتماعية والاتصال بالآخرين ٠

وقد تعكس البيئة الطبيعية اتجاهات الجماعة ، وكمثال فانه فى حالة وجود ضغط سكانى فان الجماعة حينئذ تحاول أن تتخلص من هذه الأزمة بالتحول تجاه البيئة الطبيعية فتعمل على توسيع رقعة الأراضى المزروعة مثلا ، وبطبيعة الحال فان من شأن كافة هذه الاجراءات ظهور تكتلات سكانية لها أهداف واضحة فى الاصلاح وعلاج المشكلات وتبرز المكانات الاجتماعيـة والأدوار ، وبذلك تظهر حالة من التفاعل المستمر خاصة وأنه يســـود عالمنا المعاصر وسائل التأثير السريع التى تتمكن من نقل الاتجاهات والأفكار بحيث ينجم عنها تفاعل يؤدى الى نشأة حياة حضرية عامة ٠

ثانيا ـ الاتصال : والاتصال مفهوم قريب فى معناه من عملية التفاعل نفسها ، بل انه ليس هناك معنى لمفهوم الاتصال الا بالتفاعل فالاتصال ان هو الا تفاعل من خاص ٠ وقد يكون الاتصال عن طريق الرمزية حيث يتبع الغير فردا ما لأنه يمثل رمزا معينا فى حياة الجماعة ٠ ان المعنى الشائع للاتصال يحوى عنصر التعاون بين الجماعات من أجل العمل بروح الفريق ، ومع ذلك فقد يحمل الاتصال معنى الصراع بحسب الهدف من اسلوب الاتصال بين الآخرين ، واللغة وسيلة هامة لهذه العملية ، انها التعبير عن الاتجـــاهات والاستجابات عن طريق الكتابة فى أحيان معينة بحيث قد قيل « ان نقطة من الحبر تستطيع أن تخلق مليون فكرة » ٠

ان الاتصال بهذا المعنى ربما يفيد فى مواجهة مشكلات الموقف الاجتماعى،

ومع تطور وسائل الاتصال وهى الوسيلة العملية لمفهوم عملية الاتصـــال كفكـــرة ٠

أقول مع تطور هذه الوسائل فان نمر حياة الجماعة يصبح امرا ميسورا مثلما حدث مع اختراع جهاز التلفزيون كوسيلة للاتصـــال فقط سهل ذلك الاختراع من حركة الاتصال بين الجماعات والأفراد ٠

وتعتبر المنظمات وعاء اجتماعيا تتم فيه عملية التفاعل والاتصال وفيها يعمل الأفراد معا لتحقيق غرض مشترك ، بل ان المنظمات الاجتماعية تساعد على تحديد الأفراد أنفسهم واحلال مواقف التعاون بدلا من الصراع والمنافسة الهدامة وربما يؤدى فى النهاية الى حـــالة من التمثيل والتنشئة الاجتماعية الســـوية ٠

ثالثا ـ التعاون : يعنى التعاون العمل المتبادل من أجل الحصـــول على هدف معين فقد يتعاون الأفراد بمحض ارادتهم من أجل حماية أنفسهم وبديهى فان الفرد المتعاون هو بالضرورة لايتقوقع حول ذاته ، ان التعاون لـــه سمة اخلاقية ، ونستطيع أن نستقرىء التاريخ لنرى كيف كان التعـــاون وسيلة لاحداث التغير الاجتماعى بل ومظهرا له وأداة فى نفس الوقت فى مجالات عديدة سواء فى الدين أو الاقتصاد أو السياسة ٠

وللتعاون منظور بيولوجى بمعنى التعاون من أجل البقاء ، كما تطور للتعاون بين الأفراد من المستوى الغريزى الدفاعى الى المستوى الراقى وأصبح سلوكا ديموقراطيا وسمة الحيـــاة الاجتماعية فى الجماعة : صغيرة كانت أو كبيـــرة ٠

وهناك أشكال مختلفة للتعاون : فمنها الأنشطة الضرورية بين الفـــرد والجماعة كضرورة حياتية ، وهناك التعاون بين الفرد والجماعة من أجـــل الحصول على منافع خاصة فى مواجهة الآخرين ، وهنـــاك تعاون فى صـــورة انشطة يطور بها الأفراد قدراتهم للارتقاء بالنوع البشرى ، كما أن هنـــاك اجتماعية وتتطور شخصيته خلال دورة حياة الجماعة ويتمكن من اكتساب خبرات جديدة مع الآخرين بحيث لا يشغل فكرة بأية أفعال غير اجتماعية

نشاطا تعاونيا من أجل النهوض بالنوع الانسانى واحداث الرفاهة والرعاية الاجتماعية ٠

وربما يبدأ التعاون فى منطقة هامشية تسودها جماعة متنافسة وأخرى متعاونة بحيث يحدث انصهارا لافكار الجماعتين فيسود المنطقة كلها تعاون كامل يصبح المجتمع المحلى بذلك مظهرا لسيادة حياة متعاونة ٠

ان المساعدة المتبادلة هى المرادف الحقيقى لمفهوم التعاون وقد طور كروبتكين Kropotkinn النظرية بحيث انه يرى أن المساعدة المتبادلة ربما تؤدى الى تطور ممكن ذلك أن المساعدة المتبادلة هى سمة الحياة النشطة ، ربما يقتل الحيوان بعضه بعضا أثناء حركة بينهما ، لكن هذه الحيوانات تستطيع أن تعيش داخل اطار جماعى عن طريق المساعدة المتبادلة ، وبمفهوم ترشيدى فان التعاون يعنى العمل معا فى اختيار وطواعية والا اصبح الافراد عبيدا للأقوى منهم وبذلك التعاون درجة من الكفاية الاجتماعية والاخلاقية فى المجتمع ٠

رابعا ـ التنشئة الاجتماعية : تهدف التنشئة الاجتماعية الى مساعدة الكائن البشرى على التكيف السوى مع عادات الجماعة وتقاليدها ، ذلك ان الفرد يبدأ حياته متركزا حول ذاته ، وبالتدريج تنمو اتجاهاته نوعية تجاه الغير عن طريق أسلوب التنشئة أو التطبيع الاجتماعى ، بمعنى آخر يستطيع الفرد أن يتكيف مع الآخرين فى اطار قيم الجماعة وأهدافها ومن هنا يصبح كائنا اجتماعيا بعد ان كان منذ نعومة أظافره كائنا بيولوجيا ٠ ان « كيس » Clarence M. case يحلل مفهوم التنشئة الاجتماعية بما يسميه بالعمر الاجتماعى Social age بمعنى ان الانسان خلال فترة عمره يستطيع ان يكتسب من الجماعة الكثير من اتجاهات وقيم المجتمع ، ومن خلال هذا العمر الاجتماعى يتمكن الفرد من أن يكون لديه الوعى الاجتماعى Social awareness بما يدور فى المجتمع ، ذلك الوعى الذى يساعده على الاحساس بالسعادة فى تقبل توجيهات المجتمع وفى ذات الوقت يشعره بالمسئولية الاجتماعية تجاه أقرانه ، معنى هذا ان الفرد ككائن فيزيقى تتحول ميوله الموروثة الى طبيعة

تكون نتيجتهـــا المنافسة الهدامة ، ومن منطق قياسى فان التنشئة تحمل معنى القرب أو البعد بين الفـرد وأعضاء الجماعة ٠

ومن منطلق آخر يمكن القول بأن التنشئة الاجتماعية تعنى مدى تغير سلوك الفرد فى المجتمع بحيث يتمكن من اداء دور ما داخل جماعته وفقـــا للقدراته وما تطبع عليه من عادات وقيم ٠ بل انه فى أحيان أخرى يمكن أن تحدث للمجتمع ذاته عملية التنشئة الاجتماعية وذلك حين يتحول من البساطة فى تركيبه الى درجـة عالية من التنظيم فى الوظائف بين وحداته وطبقاته وعملية التنشئة هنا انما توجه للجماعات وهدفها أن تكون هذه الجماعات على دراية بحركة التحول ومن هنا يمكن القول بأن التنشئة الفردية والمجتمعية تسيران جنبا الى جنب (١) ٠

وزيادة فى الايضاح فانه يمكن القول بصدد مفهوم التنشئة الاجتماعية انه اذا كان للعامل البيولوجى دور فى تكوين الأسرة الا انه ينبغى أن يصاغ هذا الدور فى اطار الشكل الاجتماعى الذى ارتضاه المجتمع ، وتبدو اهميـــة عملية التنشئة فى تحويل الفردية البيولوجية للكائن الانسانى الى كينونـة اجتماعية وذلك عن طريق الوظيفة الأسرية ، فالأسرة ما زالت تشكل البناء العاطفى لحياة الطفل وهى التى تساعده على التكيف السوى والتفاعل المثمر مع الآخرين اذا أحسنت تنشئته (٢) ٠

معنى هذا أن التنشئة الاجتماعية تعتبر احـــدى العمليات الاجتماعيـــة التى تساعد على تكوين علاقات اجتماعية ايجابية مع الغير ولذلك فهى عملية بناء وتتعلق بالفرد والجماعة على حد سواء فاذا كانت الجماعة هى الاطـــار المرجعى للفرد الذى يتقبل منها توجيهات المجتمع وقيمه ، فانه بالتالى يلزم ان يتوفر للجماعة كافة أساليب الترشيد الاجتماعى ٠ بحيث تكون موصـــلا جيدا لتراث المجتمع واهدافه وهذا ما نقصده بالتنشئة الاجتماعية واهميـــة

---

(١) Gillin : op. cit. p. 331.

(٢) Don Martindale : social life and cultural change Dan Nostrand comp. Inc. New York, 11962 p. 39.

ذلك تكمن فى حركة التغير الاجتماعى المستمرة فى المجتمع والتى تترتب عليها آثار مختلفة كان على الجماعة أن تعى أبعادها ومقوماتها وفلسفتها بحيث تتمكن فى النهاية أن تقدم للفرد مفاهيم اجتماعية صالحة تعبر عن أهداف المجتمع وتراثه وقيمه وعاداته وتقاليده • وبذلك تصل عملية التنشئة الى الهدف المرجو منها •

خامسا ـ التكيف الاجتماعى : هى عملية الملاءمة بين الاتجاهات والآراء المتصارعة أو المتعارضة فى المصالح والاهداف سواء بين الأفراد أو بين الطوائف المهنية ، وخلق مناخ جديد تبدو فيه علامات الرضا والاختيار بالواقع الاجتماعى والثقافى والمعايير والقيم السائدة •

ولكى تتم عملية التكيف بنجاح يلزم توفر حد أدنى من التشابه بين ظروف البيئة الاجتماعية التى تواجه جميع الأفراد بحيث يستطيعون التفاعل بنجاح للتوصل الى التكيف المطلوب بحد أدنى من الصراع او المقاومة •

ومن هنا يمكن القول أن عملية التكيف تحمل فى طياتها عنصر الديناميه والتفاعل المستمر الى أن يحدث التوازن المطلوب بين الجماعات المتصارعة أو المتعارضة • ان التوازن الاجتماعى الذى يتم هو توازن نسبى بمعنى أنه قد يحدث التوازن ثم سرعان ما تبدو فى الأفق عوامل الخلل فيتطلب الامر احلال أنواع جديدة من التكيف منعا لحدوث تصادم ، ومن الصعوبة الوصول الى تكيف كامل فى مجتمع متطور •

وهناك التكيف الثقافى الذى يعنى قبول الفرد والجماعة لقيم وعادات واتجاهات بيئة اجتماعية لم يألفوها من قبل ، ومن شأن هذا التكيف الثقافى تمثل الأفراد الجدد لثقافة المجتمع ، وبهذا يعتبر التكيف الثقافى ظاهره انسانية اهتم بدراستها علماء الاجتماع خاصة العلامة الألمانى الفرد مبير (١)•

وبمعنى آخر فان عملية التكيف هى الأخذ والعطاء ، وقد تحدث بعد انتهاء عملية الصراع حيث يبدأ الطرفان المتصارعان فى التعاون مع بعضهما

---

(١) د • أحمد الخشاب : مرجع سابق ص ٢٣١ •

البعض حين يقتنعان بأن الصراع ليس له نهاية مأمونة العواقب ، وبهذا يعتبر التكيف المظهر الأولى لعملية التعاون • وبمعنى أوسع شمولا فان القيادات يمكن أن تتكيف مع الحاجات الانسانية بحيث تتمكن من وراء ذلك أن تحدث تغييرا لصالح الجميع ، والتكيف بهذا المعنى طريق للتغير والتماثل والوحدة (١) •

ويمكن القول اذن بأن التكيف يمثل مظهرا لعلاقات اجتماعية موجبة تعمل على الخلق والتجديد والابتكار والتغير فى كافة الجوانب الاجتماعية والثقافية فى المجتمع •

سادسا ـ التمثيل : عملية اجتماعية هادفة تواكب كافة العمليات الايجابية الأخرى فى نشاطاتها وأهدافها ، وأبسط ما يمكن قوله عنها أنها عملية تتحد فيها اتجاهات الأفراد والجماعات وتتماثل فى جماعة واحدة أو بمعنى آخر أنها عملية تشير الى التفكير بشكل موحد ، انها التكامل بين كافة الاتجاهات غير المتشابه مع القيم الاجتماعية والثقافية السائدة وعلى هذا الأساس يعتبر التمثيل عملية هادفة وخلاقة •

ومن هنا يمكن القول بأن كافة العمليات السابق الاشارة اليها هى عمليات اجتماعية ذات طبيعة ايجابية تعمل على البناء واستقرار المجتمع وهى كما سبق القول تتكامل وتتداخل مع بعضها فالتعاون مثلا يسير جنبا الى جنب مع التكيف أو عملية التمثيل أو التداخل الاجتماعى وهكذا •

ومع ذلك هناك عمليات اجتماعية ذات طبيعة اتلافية مثل الصراع أو المنافسة الهدامة سوف نشير اليها فيما يلى :

سابعا ـ الصراع : الصراع هو أحد العناصر الهامة فى عملية التفاعل الاجتماعى ، ذلك أنه قد يتجه المتصارعان الى الدخول فى هذه العملية من أجل الدفاع عن قيم معينة أو من أجل الوصول الي مكافآت اجتماعية مرغوبة ومن

---

(١) Bogardus : op. cit., p. 532.

أجل ذلك يحاول الطرفان بذل كل ما فى الطاقة من أجل الانتصار على الخصم دون مراعاة لأية أهداف انسانية أو اخلاقية ٠

وعلى هذا تعتبر عملية الصراع أحد الظواهر الاجتماعية التى عاشتها المجتمعات عبر فترات التاريخ ، واهتم بدراستها علماء كثيرون امثال العلامة باريتو حيث الصراع من أجل القوة والتأثير ، كذلك فقد درس علماء الاجتماع الألمان هذه الظاهرة ابتداء من تونيز الى سيمل وفيبر حيث اعتبروا الصراع ظاهرة اجتماعية ولقد حلل سيمل عملية الصراع من منظور اجتماعى ورأى أنها تحمل معنى الاجتماعية باعتبار انها تنشأ فى مجتمع ، وقد يؤدى الصراع الى تكامل الجماعة ، بل ان البعض يرى فى الصراع سلوكا شعوريا رشيدا ٠ ان التحليل الموضوعى لخصائص عملية الصراع الاجتماعى يوضح لنا كيف يمكن أن تتجه الصراعات بين الأفراد والجماعة الى حد تحطيم القيم السائدة والتضحية بالمكافآت أو بالظروف الاقتصادية وغيرها من أجل تحقيق أهداف الصراع ٠ ان السلوك الصراعى قد يكون دافعيا حين يتمثل أهدافا محدودة وموضوعية يناضل من أجلها على العكس من ظهور صراعات غير منطقية تقوم أساسا على العدوان وليس لدى اصاحبها أدنى هدف محدد وواضح فضلا عن انعدام المتغيرات الوظيفية التى يقوم على أساسها وتعتبر محركا له نحو الوصول الى الهدف ٠

وهناك انطباع بنائى لمفهوم حركة الصراع بمعنى ان نمط البناء الاجتماعى يحدد أى شكل من اشكال الصراع يمكن ان يتحقق ، اذ قد تلجأ الجماعات المتصارعة الى تلمس كافة السبل لحل الصراعات باسلوب بناء حين لا يكون هناك نتيجة واقعية من ورائها ٠ وفى الوقت ذاته قد لا يحدث الصراع بين أفراد بل بين أنظمة متوازية داخل البناء وفى هذه الحالة سرعان ما يحدث التحول نحو الابقاء على الأنظمة الصالحة لبناء المجتمع بعامة ٠

والصراع من خلال البناءات الاجتماعية أو الجماعات المختلفة وبين ماهو وافد اليها من ثقافات غريبة عليها قد تتخذ شكلا عنيفا لأنه يمس كيان الجماعة وتراثها بل انه يهدر شخصية الجماعة بالغناء فى كل ما هو جديد وغير مألوف وفى هذه الحالة فان العناصر ذات القوة والتأثير فى هذه البناءات التقليدية أو الثقافات الواغدة هى التى يكتب لها الغلبة فى نهاية الأمر ٠

وهناك الصراع الايديولوجى بين أطراف متنازعة وغير منسقة فى مشاعرها وعقائدها السياسية ويميل كل طرف فى هذه الحالة الى التشبث بمعتقداته وأفكاره ويناضل من أجل الحفاظ عليها ان لم يهتم بقهر الطرف الآخر حفاظا على بقائه هو فى أمان وليس من شك فى ان كتابات كارل ماركس تحمل أفكارا شتى عن الصراعات الأيديولوجية الرأسمالية المستغلة بل وفى الوقت ذاته احلال طبقة البروليتاريا (العمال) محل كافة الطبقات الفوقية لتولى السلطة فى المجتمع ٠

وللصراع علاقة وثيقة بحركة التغير الاجتماعى فى المجتمع ، اذ قد يؤدى الى حالة من التكيف بين الاجزاء المتصارعة فيحدث التكامل بينها من أجل احداث التغير المطلوب ٠

وقد لا ينتهى الصراع بهذه الصورة السلمية فيمتد الى صراع قوى غايته فرض ارادة الخصم أملا فى احداث تغير من جانب واحد ٠ وان التاريخ ملىء بحالات من الصراع الدموى والحروب من أجل ابقاء السيطرة السياسية على مجتمع ما ٠ وعلى هذا الأساس فان دارس التغير الاجتماعى ينبغى أن يقف على مواطن الصراع وديناميات التغير الاجتماعى وأثرها فى تصادم القيم والمعايير والاتجاهات بعامة وفضلا عن ذلك فانه من الأهمية بمكان أيضا أن يقف على صيغة العلاقات البنائية العامة والانظمة الخاصة ونسق القيم المستهدف من حركة التغيير (١) ٠

وقد تؤدى المنافسة بين الأفراد الى حالة من الصراع بهدف اكتساب مكانة اجتماعية مثلا وغالبا ما يحدث ذلك من خلال مواقف اجتماعية بين الجماعات صغيرة كانت أو كبيرة ، كما قد يحدث الصراع بين الجماعات المحلية من أجل تغيير خط التقاليد السائدة وفى الوقت نفسه فانه قد يكون الصراع فى حالة متوازنة أو قد يحدث العكس حين يقهر فرد ما فى حالة الصراع ارادة زميله ٠ وفى الحالة الأولى يستطيع الطرف الاول ان يتعلم أشياء كثيرة من

---

(١) International Encyclopedia of the social sciences Lewis A. Coser p. 532.

الطرف الثانى ، وقد تؤدى نتيجة الصراع الى التعاون وفى الحالة الثانية يحدث الصراع بين قوى غير متكافئة ، ومعنى ذلك أن الاقوى يصرع الطرف الأضعف دون أن يستفيد أى مهارة جديدة (١) ٠

من هنا يمكن القول ان الصراع الاجتماعى بصفة عامة يعتبر أحد العمليات الاجتماعية المفرقة وما حالة التكيف أو التعاون التى قد تنجم عن الصراع ان هى الا موقف اجتماعى تملية ظروف الصراع نفسه ومع ذلك فانه لايخلو أى مجتمع من المجتمعات من كافة مظاهر الصراع بل حتى داخل المجتمع الواحد قد يحدث الصراع بسبب متغيرات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو تقليدية وعلى هذا يمكن القول أن الصراع هو سمة الحياة المعاصرة بصورة عامة ٠

ثامنا ـ المنافسة : وهى من المنظور الاجتماعى تنطوى على طبيعه فضالية حين تتشابك القوى أو الجماعات المتنافسة من أجل الحصول على هدف محدد يحاول أن يبلغه كل المتنازعين على نحو أسرع وبطريقة أفضل وباقل قدر من التضحية ٠ المنافسة بهذه الصورة عملية اجتماعية ايجابية وظيفيا وان كانت فى ذات الوقت مفرقة فى طبيعتها ذلك أنها تعمل على حفز همم المتنافسين وتنشيط فاعليتهم بهدف كسب الجولة والقضاء على الخصم ومن ثم الحصول على الهدف وللمنافسة بهذه الصورة عنصرا ديناميا تفاعليا ويعتبر أداء انشائية وبحيثتكون المنافسة ايجابية أو بناءة أو انشائية فى كافة المستويات الاجتماعية ينبغى أن تكون متعادلة أو متماثلة أو متقاربة بين المتنافسين وليس من شك فى أن الضعية الثقافية للمجتمع هى التى تحدد كافة الأسس الاتلافية وأ السلبية فتؤدى الى الخصام والقطيعة والعداوة سواء بين الافراد أو انجماعات خاصة اذا كان أحد المتنافسين الوصول الى هدفه على حساب خسارة الطرف الآخر (٢)

ويشير الى هذا المعنى العلامة بوجاردس حين يتحدث عن مفهوم الصراع اذ يرى أن التفاعل يحتوى على جانب الصراع والتعاون وبصفة عامة عنصر

---

(١) Bogardus : op. cit. p. 527.

(٢) د ٠ احمد الخشاب : المرجع السابق ص ٣٢١ ٠

المنافسة وهى فى مفهومة عملية الحصول على الطلب حين يكون عرضه قليلا وقد تكون المنافسة هدامةDestructive كما قد تكون منافسه انشائية Constructive فاذا استطاع فرد ما قهر ارادة زميله الآخر تكون المنافسة فى هذه الحالة منافسة هدامة ويكون هدفها هو الاستئثار ومن ناحية أخرى فان هناك المنافسة البناءة حين يتنافس الأفراد على الحصول على هدف محدد وسام مثل النجاح فى الامتحان أو الحصول على محصول ناضج أى أن الأفراد فى هذه الحالة يتنافسون على تنفيذ مشروعات بنائية وقد تؤدى المنافسة الى الصراع حول اكتساب المكانة (١) ٠

خلاصة القول أننا تناولنا مفهوم العلاقات الاجتماعية من زوايا عدة وناقشنا طبيعة هذه العلاقات سواء من حيث الشكل والمضمون وكنا حريصين على ابراز التاصيل السوسيولوجى من خلال تراث الفكر الاجتماعى عند علماء الاجتماع وانتهينا الى توضيح مظاهر تلك العلاقات كما تبدو فى الواقع الاجتماعى وقلنا ان هناك عمليات اجتماعية مجمعة أو انشائية مثل التعاون والتكيف الخ وفى الوقت نفسه فان هناك علاقات اجتماعية سالبة مثل الصراع والمنافسة الاتلافية ٠

ولكن تجدر الاشارة الى أن أشكال هذه العلاقات الاجتماعية كمثالا تبدو فى المجتمع متداخلة متفاعلة بل ويشوبها سمة التكامل ، وان كنا قد ابرزناها فى صورة تجزئية فان ذلك من باب الدراسة فقط فليس أحد ينكر أن فردا ما قد يتعاون مع أخيه الانسان ولكن بفعل مؤثرات اجتماعية واقتصادية أو ٠٠٠ الخ ٠ ينقلب هذا التعاون الى صراع أو منافسة اذا توفر فى الوقت الاجتماعى عوامل تدعو الى ذلك ٠

ومن ناحية أخرى فان دراستنا للعلاقات الاجتماعية بهذه الصورة يوضح اهتمام الاجتماعيين بمناشط هذه الدراسة اذ لا يتصور أحد أن يكون هناك مجتمع ما بدون علاقات بين أفراده وجماعاته ومن ثم كان حريا بعلم الاجتماع أن يخصص أحد مباحثه الهامة لدراسة العلاقات الاجتماعية دراسة واقعية كما تبدو فى المجتمع ، لا دراسة مجردة ميتافيزيقية كما حاول أنصار

---

(١) Bogardus : op. cit. p. 527.

مدرسة العلاقات فى المانيا ذلك عند تعريفهم لعلم الاجتماع ومن هنـــا يكتسب العلم السمة النظرية والامبريقية فى ذات الوقت ٠

واذا كنا قد اعتبرنا سـمة الدينامية من سمات العلاقات الاجتماعية بصفة أساسية فهل يساعد ذلك على أحداث تغـــير اجتماعى سريع ام لا وما طبيعة هذا التغـــير ؟ وكيف تؤدى العـلاقات الاجتماعية المتطورة الى التعجيل بحركة التغير فى المجتمع ؟ ٠

هذا ما سوف نوضحه فى الفقرة التالية ٠

ثالثا ـ التغـــير الاجتماعى :

التغـــير الاجتماعى من الموضوعات ذات الأهمية البالغة فى الدراسات السوسيولوجية ذلك لأن علم الاجتماع يقتصر فحسب على دراسة المجتمعات الاستاتيكية الثابتة المستقرة لكنه يهتم بشدة بدراسة المجتمعات الدينامية المتطورة خاصة وان عالمنا المعاصر يشهد تغيرا سريعا فى بنائه ووظائفه ومن ثم كانت الضرورة للاحقة دراسة هذه التغيرات باشكالها المتباينة من أجـل الوقوف على عوامل القوة وعوامل الضعف فى المجتمع ٠

وبادىء ذى بدء يمكن القول أن هناك ثلاثة أفكار عامة يحتكم اليهـــ دارس التغـــير ، تلك الأفكار تتعلق بدرجة النمـــو السكانى التى يشهدها المجتمع ، ثم ما وصل اليه ذلك المجتمع من تقدم علمى ، وأخيرا الاستخدامات التكنولوجية وأثرها على مسار حركة التغير ، ومن شأن تأثير هذه العوامل الثلاثة على حركة التغير فانها تعطى الفرصة حينئذ لارساء قواعد التنظيم الاجتماعى ما زالت ملاحظة حتى فى أرقى الشعوب حضارة معنى من مظاهر سوء التنظيم يعد ظاهرة مصاحبة للتغير الاجتماعى لفترة من الوقت الى أن يحدث الثبات لعوامل حركة التنظيم خاصة وأن الأفراد والجماعات يميلون دائما نحو مواجهة ما ينجم عن سوء التنظيم من مشكلات بفضل الالتجاء الى نظام تربو سليم مع تقـدم ملموس فى العلوم الاجتماعية التى تساهم فى اعادة صياغة التنظيم (١) ٠

---

(١) Francis A. Allen : Socio-Cultural Dynamics, The Macmillan Comp. New York 1971 p. 382.

وهناك تفسير لحركة التغير الاجتماعى حيث يرى لندبرج Lundberg أن التغير الاجتماعى عملية تشير الى تباين فى السلوك الاجتماعى فى المجتمع، وفى ذات الوقت يشير التغير الى وجود قدرات قادرة على التحول ، ومن مظاهر ذلك الاهتمام بدراسة التغير الاجتماعى وعوامله المادية أو الثقافية أو عن طريق البحث عن وسائل جديدة فى الطاقة وبفعل ارادة التغير عند الانسان أو ما يمكن أن نسميه بالطاقة الاجتماعية لاحداث التغير ، ويسعد الاجتماعيون حقيقة حين تكون لاحتمالاتهم المتوقعة جدوى وتأثير على النظام الاجتماعى .

وقد يعود التغير الاجتماعى الى تفاعل مجموعة من الحالات والعوامل الجغرافية مثلا ، او طاقة الانسان وقدرته على استيعاب التكنولوجيا فضلا عن الرغبة فى استحداث أساليب جديدة فى التنظيم الاجتماعى ، و قد يرجع التغير الى تأثير النسق القيمى السائد فى المجتمع ، والذى يكون له علاقة وثيقة بالمفهوم التكنولوجى ، ان تفاعل وتناسق جميع هذه العوامل أمر جوهرى فى احداث التغير المطلوب ذلك أن حدوث التغير فى واحد من أجزاء الثقافة من شأنه أن يحدث عدم توازن ثقافى باقى الأجزاء ، أو كما يقول أوجبرن يحدث تخلفا اجتماعيا بسبب عدم قبول التغير بتأثير السنن الاجتماعية التقليدية السائدة .

ومن هنا نجىء أهمية ربط التغير الاجتماعى بثقافة المجتمع السائدة ويمكن القول أن النمو الثقافى المتكامل يميل الى الانتشار ، بل ان من العوامل الهامة المؤثرة فى التطور الثقافى ما يتعلق بمشكلة السكان مع انتشار ظاهرة التخصص وتقسيم العمل وظهور الاختراعات المادية وانتشار النسق المصرفى فى الحقل الثقافى ، وبناء على ذلك كان من الضرورى لدفع عجلة التطور الثقافى استحداث اختراعات اجتماعية بمعنى ظهور قيم جديدة وتقاليد متطورة تبدو فيما يتعلق بالأيديولوجيات والنظم والانساق القيمة بعامة حتى تواكب هذه المستحدثات المستوى التكنولوجى المادى وبذلك تسير عجلة التغير فى خط متواز . الا انه من المشاهد أن السمات الثقافية الروحية تنمو ببطء على هذا كان من اللازم ونحن نقيم حركة التغير الاجتماعى أن نميز درجة عمومية العامل الثقافى وتوازن أجزائه فى احداث التغير وأن ذلك لن يتم الا عن طريق القوانين العلمية والمعرفة بعوامل التغير التى تساعدنا على التنبؤ بالقدر التام

من التغير الذى يحدث (١) وسوف نشير الى تفصيلات هذا الامر عند الكلام عن نظريات التغـــير ٠

وحول دور القيم الاجتماعية فى احداث التغير أو اعاقته يرى جلن أن قيم المجتمع يحتكم اليها الأفراد أو الجماعات حول قبول أو رفض العـــلاقات التقليدية أو المستحدثة والتى يكون لها آثارها على حركة التطوير الاجتماعى وفى المجتمعات المحافظة تلعب دورا عكسيا فى مقاومة التغير اللهم الا اذا كانت هناك ارادة عامة من جانب المجموع على ضرورة استحداث قيم جديدة تواكب الوضعية المناسبة للمجتمع وعلى أى حال فان نسق القيم يدخل مجال الصراع بين القديم والجديد الى أن يحدث التكيف أو تغلب طائفة من القيم على الاخـرى وبذلك ينتهى هذا الصراع القيمى الى وضـــعية يتفق عليهـــا الأعضـــاء (٢) ٠

وليس يخاف ما لدور القيم الاجتماعية باعتبارها تمثيل الوجه الروحى للثقافة اذا استعرنا مفهوم أوجبرن ، من تأثير خطير على التعجيل بالتغير أو مقاومته وكما أشار جلن عن صرامة القيم تبدو واضحة بالفعل فى المجتمعات التقليدية أو المحافظة وفى هذه الحالة فان أحداث التغير فيها لن يتم الا بصراع بين القديم والجديد ويطفو الصالح للمجتمع فوق السطح فيحدث التغـــير المنشـــود ٠

ويربط بارسونز بين حركة التغير الاجتماعى التى تسود مجتمع معـين بكافة مظاهر الفعل الاجتماعى الممارس من قبل الجماعات ، انه يرى أن هناك تباينا حول أشكال التغير الاجتماعى بتأثير المتغيرات الاجتماعية التى تبدو فى المجتمع ، بل أن التنظيم الاجتماعى ليبدو انعكاسا واضحا لمدى قدرة الجماعة على أحداث التغير من عدمه بفضل ما يظهر من تكيف فى جزئيات النظام أو حدوث سوء تنظيم اجتماعى (٣) ٠

---

(١) Lundberg : Sociology op. cit. p. 728.

(٢) John Lewis gillin and TPh. Gillin : Cultural sociology, The Macmillan Comp. New York, 1943 p. 584.

(٣) Talcott Persons and Others : Theories of society V The free press of glencoe, 1961 U.S.A. p. 1219.

تلك هى تفسيرات مختلفة لطبيعة التغير الاجتماعى وأهـــدافه وعوامله تمثل فى مجموعها اطارا مرجعيا لدراسة هذا الموضوع الحيوى • وسوف نزيد الأمر ايضاحا بمناقشة النقاط التالية :

أولا : النظريات المفسرة للتغير الاجتماعى •
ثانيا : دور التكنولوجيا فى التغير الاجتماعى •
ثالثا : التنمية والتغير الاجتماعى •
رابعا : التغير الاجتماعى والمشكلات الاجتماعية •

هذه هى العناصر الرئيسية التى تمثل اطارا مرجعيا لتفسير حركـــة التغير الاجتماعى فى المجتمع سواء كان متقدما أو مجتمعا ناميا ، فضـــلا عن اشتمال هذا الاطار لكافة المتغيرات المعاصرة المؤثرة فى مسار حـــركة التغير الاجتماعى وأهدافه •

أولا ـ النظريات المفسرة للتغير الاجتماعى :

هناك مجموعة من المفاهيم ، يلتبس على البعض تفسيرها يحاولون اقترانها بمفهوم التغير الاجتماعى برغم التباين الشديد فى معانيها وأبعادها السوسيولوجية من بين تلك المفاهيم : مفهوم التقدم وهو يشير الى الاتجاه نحو الأمام ، كذلك هناك مفهوم التطور ويشير الى التقدم التدريجى ، بينما قد يؤدى التغير الى تقدم أو على العكس يؤدى الى التخلف بحسب عوامله ومســـبباته •

وهناك نظريات مختلفة تحاول تفسير معنى التغير واتجـــاه مساره

وعوامل نشأته الى غير ذلك ونحاول استعراضها فيما يلى (١) :

١ ـ الفوضوية : يلصق البعض بمعنى التغير الاجتماعى ، ما يعرف بالمذهب الفوضوى والذى يقترن باسم المفكر « برودهون » الذى عرف فى تاريخ النظريات السياسية بأبى الفوضوية ، ولقد سبق كتابات هذا المذهب محاولات

Richard T. La priere : Social change, McGraw-Hillbook comp. New York, 1961 p. 9.

اصلاحية جادة شارك فيها العلامة الفرنسى سان سيمون ولكن لم تستجب الحكومات لآراء المصلحين الاجتماعيين فى فرنسا ، فاجتاحت البلاد دوجة من المبادىء المتطرفة • والتى عرفت بالفوضوية والتى تزعمها برودهون (١) •

وهناك كتابات تدور حول فكرة أن هناك حاجزا أمام التقدم الاجتماعى. وأن هذا الحاجز هو الحكومة فهى فى كل مكان تقف موقف العداء للتغير منذ أن جاءت بالانتخاب الاجتماعى وتحاول أن تحتفظ بالأشكال التقليدية لنمط الحياة الاجتماعية التى تجعلها أكثر استقرارا وليست الثورة السياسية هى الحل الأمثل لعلاج هذه الظاهرة ذلك لأن الحكومات البرلمانية ليست أقل انتظاما من الحكومة الملكية •

فكان المبادىء الفوضوية التى تحاول تغير شكل الحياة بالأسلوب الفوضوى تميل الى أن تكون نظرية فى التغير الاجتماعى •

٢ ـ **الماركسية :** نجد من التعريفات الاجتماعية لمفهوم التغير ما قيل عن الماركسية اذ يرى كارل ماركس Marx أن المجتمع يمر فى مراحل متتابعه يطلق عليها التتابع التاريخى والى أن جاء القرن التاسع عشر ظهرت الرأسمالية كمرحلة فى النظام الاقتصادى وكعلاج لمشكلة الانتاج البسيط وهى قائمة على أساس حرية الأفراد فى الحصول على الموارد والثروة المادية ، وكان من نتيجة ذلك حدوث نوع من التقدم المادى والاجتماعى ، ثم دارت مناقشات حول فائض القيمة غير أن ماركس يرى أن الرأسمالية المتحكمة تشكل الحكومه فى الوقت الذى لايتوفر فيه الوعى لدى عمال الصناعة من أجل مناهضة التسلط الرأسمالى الأمر الذى يتطلب معه تعبئة الشعور الطبقى وتطويره من أجل الثورة على هؤلاء الرأسماليين المستغلين ، اذ ينبغى أن توجه الثورة للعمالة نحو تحطيم النظام السياسى الرأسمالى وتحطيم شرعية التسلط الطبقى المستغل وفى النهاية يجب أن تقوم حكومة البروليتاريا من الأغلبية العمالية وهى الحكومة الشرعية فى نظره لأنها تخلق نظاما اقتصاديا مجتمعيا قائم

---

(١) د • مصطفى الخشاب : النظريات والمذاهب السياسية • مطبعة لجنة البيان ١٩٥٨ ، ص ٢٦٤ •

على أساس المبدأ المعروف « من كل بحسب قدرته ، ولكل بحسب حاجته » . وحقيقة الأمر ن مارس يعتقد أن الثورة هى واحدة من الاحداث المثرة فى عملية التطور .

وزيادة فى ايضاح النظرية الماركسيةMarxiist Theory كأحدى نظريات التغير الاجتماعى يرى تيرياكيان Tiryakian أنه فى تاريخ الفكر الانسانى نفر قليل من المدرسين كان لهم بصمات على اتجاه الاحداث فى العالم أمثال كارل ماركس ودرس على يد هيجل الالمانى الذى يرى ن الثقافة والمجتمع يتحركان فى التاريخ تجاه فكرة مطلقة وان حركة المجتمع تجاه هذه الفكرة تكتسب عن طريق الحركة الديالكتية وأكد هيجل على الوحدة بين المتناقضات كوسيلة للوصول الى التقدم من خلال الاحداث المتناقضة والمتصارعة .

ولقد تعلم ماركس هذا المنطلق الجدلى واطلق على اتجاهه ، بالاتجاه المادى ، بمعنى أنه درس الروح المادية وتحدث عن التكنولوجيا والعناصر الاقتصادية بأسلوب جدلى ، ان كل مرحلة للتنمية والتنظيم الاجتماعى والأنساق المصاحبة لها تحمل فى طياتها بذور الانحلال التى تتضح فى الانظمة المتناقضة ، وعلى هذا فان ماركس يقصد فى النهاية من منطقة المادى كما سبق القول الى أقامة نظام اشتراكى وهو بمثابة مرحلة أخيره فى التطور التسقى للنظم الاقتصادية .

وبالرجوع الى النظرية الماركسية ، فان النظام الذى يحكم القوى المادية فى الانتاج يكون أقرب موضوعية الى التغير ذلك أن المجتمع يحوى مجموعة من النظم التقليدية التى تقاوم التغيير . أما قيامه على أساس تكنولوجى يجعله أكثر يسرا فى تقبل التغيير نحو هدف محدد ، وفى المجتمعات الرأسمالية فان الوضع الطبقى يكون أميل الى ظهور طبقة مالكة هى طبقة الرأسماليين وطبقة عاملة تمثل الغالبية العظمى لذلك نلمس دائما اهتمامات متصارعة بين هاتين الطبقتين للحصول على العائد المجزى (١) .

Edward A. Tiryakian : Sociological theory values, and socio-cultural change The free press of glencoe, London 1963 p. 509.

ان كل ما يمكن أن يقال عن النظرية الماركسية كاحدى نظريات التغير أن لها هدفا يسعى الى تحقيقه هو تغيير شكل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بحيث تتسم بالصبغة الاشتراكية والقضاء على النظام الرأسمالى وتوجيه كل الأمور فى المجتمع الاشتراكى بعد ذلك عن طريق الطبقة الحاكمة من العمال الذين هم أكثر عددا وأسرا حالا ، وأيد وسيلة تلك النظرية فى تحقيق هذا التغير هو الثورة على الأوضاع القائمة وتحطيم كافة النظم التى لا تتفق وتحقيق الاشتراكية ٠

وبطبيعة الحال فان ماركس قد اقام نظريته هذه على أساس العامل الاقتصادى فحسب ، فى حين أننا كاجتماعيين نؤمن بتعدد العوامل والأسباب المحدثة للتغير الاجتماعى ، وفضلا عن ذلك نؤمن بتكامل هذه العناصر المختلفة وتداخلها وتفاعلها من أجل تفسير الظاهرة وتحليلها تحليلا موضوعيا ٠

٣ ـ **الاشتراكية الفابية** : وهناك تفسير آخر لمفهوم التغير الاجتماعى وطبيعته وأهدافه ويجىء ذلك التفسير من جانب الاشتراكية الفابية اذ أنه بصفة عامة يمكن القول ان نظريات التغير الاجتماعى قد تقدمت خلال القرن التاسع عشر ، ويؤمن الفابيون بالاشتراكية المعتدلة ولذلك لا يرون أن الثورة هى بالضرورة أداة للتغيير فى المجتمع بل أنهم يرون أن التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية انما يتم تدريجيا ٠ ان الصراع الحقيقى فى نظرهم يدور حول الفهم الخاص للحقوق فى المجتمع الاشتراكى ، ولايضعون فكرة واضحة عن دور الحكومة ومسئوليتها ويعتقدون بصفة عامة فى تاثير الفعل السياسى ، ذلك أن المبادىء الاشتراكية يجب ان تخضع للتطبيق لأنهم يعتقدون أن المحور الاساسى للاشتراكية هى اكبر كمية من السلع لأكبر عدد من الناس ويمكن تحقيق ذلك فى الحال عن طريق تنفيذ مشروعات الاصلاح الاجتماعى ٠

ان الاشتراكية الفابية بهذا التصور تمثل صورة أو اتجاها فكريا للاشتراكية بصفة عامة هدفها أيضا احداث التغير الاجتماعى من أجل هدف محدد هو اصلاح النظام الاقتصادى السائد فى المجتمع الأوربى ، أى أن عنصر الاصلاح هو العنصر الغالب على تفكير رواد هذه النظرية فكأنها تتفق فى الصلاحيات العامة للحركة الاشتراكية وان اختلفت فى أسلوب التطبيق ٠

٤ ـ **النظرية الدائرية** : تشير هذه النظرية الى اتجاه حركة التغير داخل المجتمعات وتستند فى تأكيد آرائها بالحقائق والمعطيات التاريخية المتاحة وهى تفترض أن التغير فى ضوء هذه الحقائق يميل الى الكمال ، وان نظريات ماركس والفابيين قد أفادت فى توضيح الرؤيا حول طبيعة المجتمعات البدائية مقارنه بتلك المجتمعات المتطورة فى أوربا وتعتقد هذه النظرية فى نسبية درجة التغير من مجتمع لآخر بحسب العوامل المعجلة بحدوثه أو المعوقة له ٠

٥ ـ **النظرية التاريخية** : ان القول بأن المجتمع يتغير نحو الكمال فكرة قديمة جامدة ، ذلك أن التغير الاجتماعى قد يتجه الى التخلف وليس بالضرورة الى تحقيق درجة من الكمال والتقدم ٠ اننا حين نركز الاهتمام حول ثقافة الانسان فى مجملها وعلى وجه الخصوص حين نركز الانتباه على الجانب المادى منها المتمثل فى التكنولوجيا نجد فى هذه الحالة ان التغير يتجه من البساطة الى التعقيد ، وأن الأفراد كجماعة هم أصحاب المصلحة فى تحقيق التغير ، بل ان دراسة التاريخ الاجتماعى وعلى وجه الخصوص التاريخ الوسيط فان الباحث يجد فيه انطباعا عن أناس عاشوا مع بعضهم البعض بروح جمعية ، فضلا عن ذلك تعتبر النظرية التاريخية أن التغير ذو طبيعة حيوية وبيئية ٠

٦ ـ **نظريات خاصة** : وفضلا عما تقدم فان هناك نظريات خاصة درست التغير الاجتماعى حيث ترجعه الى متغيرات اجتماعية خاصة ٠ ومن بين هذه النظريات ـ النظرية الانتشارية ، ففى أثناء السنوات الأولى من هذا القرن قد تبلورت فكرة المراكز الثقافية المسيطرة وصيغت فى نظرية للتغير الاجتماعى بواسطة سميث G. Elliot Smith و الباحث فى تاريخ مصر ، اذ أنه منذ حوالى ٣٠٠٠ سنة ق٠م يلاحظ سميث وجود ظروف غير طبيعية على ضفاف نهر النيل أنتجت تطورا ثقافيا على هذا النهر ، ولاحظ ان تكنولوجيا الزراعة تتطور الى أفضل وانتشرت هذه الحضارة من الشعب المصرى الى الشعوب الأخرى ، فأحدثت تغيرا اجتماعيا فيهـا ، ولاثبات صدق هـذه النظرية فان سميث يحاول أن يوجد مناطق ثقافية متشابهة مع الحضارة المصرية كما فى

بيرو وميلانيزيا ،وأصبحت هذه الخصائص الثقافية لهؤلاء الناس عناصر ثقافية وحيوية بسبب هذه الموجات الثقافية المنتشرة ، وبعد سميث انقسم الأنثروبولوجيون الثقافيون الى معسكرين : الانتشاريون الذين يحاولون ان يقتفوا اثر كل مركز وغالبا فى مصر ، وفريق المعتدلين الذين كانوا يميلون الى التفكير فى ان الناس يتطورن معتمدين على قدراتهم الثقافية ٠

٧ ـ **نظرية الحتمية الجغرافية :** يهتم الجغرافى الأمريكى هنتنجتون Ellsworth Huntington ـ العامل الجغرافى فى تفسير تباين الناس واسباب حدوث التغير الاجتماعى ، لذلك فانه يرجع اختلاف خصائص الناس الى مجموعة من العوامل الجغرافية ، وقد استعان فى تفسيره للتغير الاجتماعى من منظور جغرافى بكل مقومات النظرية الدائرية فى التغير ، وكما قال سميث يرى هنتنجتون أيضا أن مركز المدنية هى على ضفاف نهر النيل حيث انه فى اطار هذه الظروف الجغرافية المتصلة نمت وتطورات الثقافة ، وفى نظره أن هذه الظروف الجغرافية انما تمثل المناخ الصحى للتطور ٠

٨ ـ **نظرية الحتمية البيولوجية :** جاء العالم الفرنسى جوبينو Gobineau فى مستهل القرن التاسع عشر بنظرية انحطاط الجنس،وبالتالى فتح الطرق الى المانيا لتبنى فكرة التعصب العنصرى التى غذاها عند الشعوب الالمانية أدولف هتلر ، وفضلا عن ذلك فقد أثار جوبينو مسألة نقاء الدم ، الأمر الذى دفع الأفراد الى الاعتقاد بأنهم من خصائص راقية ، وأساس نظرية الحتمية البيولوجية افتراض أن الناس ينقسمون الى اجناس Races ولذلك ينبغى أن يكونوا متمايزين فى الخصائص الموروثة والتى تعمل على تطوير الأجناس وتقدم الحيـاة الاجتماعية ٠

غير أن هذه النظرية التعصبية لا تجد رواجا عند علماء الاجتماع ٠ فالعادات الحيوية ليست سببا فى احداث التغير الاجتماعى برغم النظـرة المتكاملة المتمثلة فى تضافر عوامل عـدة تحـدث التغير وعدم الاكتفاء بالعامل

الواحـــد كسبب جوهرى فى احداث هذا التغير بخـــلاف ما نلاحظه من آراء واتجاهات تشير اليها تلك النظرية أو غيرها ٠

٩ ـ نظرية التمثيل الاجتماعى : حيث يرجع الى توماس W.T. Thomas الذى كان مغرما بالتحليل العلمى ، يرجع اليه فى تبنى هذه النظرية والتى أدخلها فى حساباته عند تفسير طبيعة التغير الاجتماعى واتجاهه ، وان توفر البعض الذين هاجموا هذه النظرية ٠

١٠ ـ النظرية الأكولوجية : فى خلال عام ١٩٢٠ أعطى علم الاجتماع اعتبـارات هامة لما عـرف عن مدرسـة شـــيكاغو برئاسـة روبرت بارك Robert E. Park اهتمامها بدراسة البناء حيث ان بارك لم يهتم بنظرية التمثيل الاجتماعى فى احداث التغير وانما قال بالاكولوجيا الاجتماعية التى أظهرت مفاهيم معينة فى اطار تفسير التغير ومنها مفاهيم المنافسة والصراع كمظاهر تسود مناطق مختلفة وأخضعت المدرسة الاكولوجية هذه المفاهيم للدراسة ، وأظهرت الأكولوجية الاجتماعية ما بينها من ترابط فى تفسير التغير الاجتماعى وأوضحوا أن عالم النبات أو الحيوان يخضع لقوانين طبيعية فى التطور ، وأيضا فان الجماعات الانسانية لابد أن تخضع لهذه القوانين مع الاختلاف فى درجة التشابه ٠

هذه النظريات المختلفة المفسرة لحقيقة التغير الاجتماعى متباينة مع بعضها البعض ، وواضح من آرائها التعصب لتخصص معين ، فالتاريخيون يفسرون التغير من منظور تاريخى ، والجغرافيون يفسرون التغير من منظور جغرافى ، وهكذا ، هذا فضلا عن تسلط أفكار معينة على رواد بعض النظريات، تلك الأفكار تحاول أن تتجه بفكر هؤلاء الرواد وجهة معينة ، فأصحاب النظريات الاشتراكية مثلا يفسرون التغير الاجتماعى فى ضوء مظاهر البؤس الاجتماعى الذى يسود المجتمع العمالى ٠

ومع تباين تلك النظريات فى تفسير التغير الاجتماعى الا أنها تفيد فى أنها تعطى اشعاعات معينة لأسلوب وكيفية دراسة التغير ، فضلا عن اثراء

المعرفة عند الباحث حتى يتوفر لديه عوامل عدة تساعده فى تفسير التغير من منظور تكاملى ٠

ويهمنـــا ـ كاجتماعيين ـ ان نشير الى تراث الفكر السوسيولوجى فى دراسة التغير الاجتماعى على الرغم من اننا ألمحنا الى بعض اتجاهاته مثلما قلنا عن نظرية التمثيل الاجتماعى أو ما نادت به النظرية الاكولوجية وغيرها ، ولكننا فى هـذا المقام نحاول أن نوجـز آراء كل من ماكس فيبر وتالكوت بارسونز وسوروكن وأوجبرن فى هذا المجال (١) ٠

ماكس فيـــبر :

يلاحظ فيبر أن الرأسمالية والبيروقراطية قد ظهرت فى العالم الغربى مع نسق من المعتقدات والغايات والأهداف التى تحمـل الصيغة الدينية المقدسة وأنه على العكس من ماركس فهو يفترض ان الهدف الدينى ربما يعتبر كعامل له وثيق الصلة بالمعايير السائدة التى ربما تكون مهمة فى تحريك المجتمع تجاه تحقيق الرأسمالية البيروقراطية وعلى هذا فان تفسير فيبر يختلف تماما عن التفسير المـاركسى ٠ ان الاعتقاد فى الله والعمل الجاد ، والاتجاه نحو التقدم ، كلها تخدم فى اعداد الأفراد لتحمل مسئولياتهم وأدوارهم ٠

وان واحدا من أمتع تفسيرات فيبر عن التغـير هو تحليله لهذا التغير الاجتماعى فى اطار النظام التقليدى حيث تبدو فيه الزعامة الشخصية لهـا صفة مقدسة ولها أتباعها ومريدوها ٠ معنى هذا ان ماكس فيبر يحاول تفسير التغير الاجتماعى من خـلال تحليله للظروف الاجتماعية والاقتصادية التى صاحبت ظهور فكرة الرأسمالية والبيروقراطية حيث كانت تسود قيم دينية ربما كانت على صـــلة مؤثرة فى تحريك الأحـــداث الاجتماعية السائدة نحو التغير بطريقة أو بأخـرى ٠

تالـــكوت بارسونـــز :

يحاول بارسونز أيضا تفسير التغير الاجتماعى من خلال التأكيد على تفاعل الأفكار المـادية فى التعجيل بحركة التغير ، ويتم هذا التفسير من خلال

---

(١) Tiryakian : op. cit. pp. 208—212.

النسق الاجتماعى الذى قد تبدو فيه عوامل مقاومة التغير من خلال جماعات من الأفراد لم تتكيف اجتماعيا مع الظاهرات المستحدثة ، وفضلا عن ذلك يضيف باسونز عاملا هاما يساعد على سرعة التغير ألا وهو عنصر التوجيه ، ذلك أنه اذا أحسن توجيه الطفل مثلا منذ نعومة أظفاره وتطبع على ديناميات التغير من خلال التدريب المستمر والأدوار التى يتمثلها بها فان من شأن ذلك مساعدته على التغير وتفاعله الدائم مع الغير من أجل تحقيق ذلك ٠

ومع هذا فان بارسونز يؤكد على وجود بعض المشكلات من خلال نظرية التغير فى النسق الاجتماعى تتعلق باسلوب تفاعل مع الآخرين C. Lag والعمليات الدافعية فى النسق التى تعجل بالتغير أو تقف عقبة فى سبيله ٠٠٠ الخ (١) ٠

اذن فتفسير بارسونز للتغير انما يجىء من اهتمامه بدراسة الانساق الاجتماعية وما يظهر فيها من أفعال اجتماعية وموجهات ذات طبيعه أخلاقية واجتماعية ٠

سوروكن :

تبدو المظاهر العديدة لحركة التغير الاجتماعى عند سوروكن من خلال نظريته من الديناميات الاجتماعية والثقافية ويرى أن هناك تلازما فى حدوث التغير بمقدار الطاقة التى تبذل من أجل الاعداد له ٠ وهو لايخفى التأثيرات البيئية الموجهة لمسار التغير ومستقبل النسق الاجتماعى ٠ ويعترض سوروكن على نظرية التخلف الثقافى ـ والتى سوف نشير اليها فيما بعد ـ والتى تقسم الثقافة الى جانب مادى هو التكنولوجيا وآخر معنوى يشتمل على المعتقدات والفلسفات وغيرها وأن التغير انما يصيب الجوانب المادية بصورة أسرع كما يقول بذلك أو جبرن ، وهو يرى ينبغى أن ننظر لتلك المسالة نظرة متوازنة بحيث نستطيع أن نحلل ماقد ينجم عن التغيرات الاجتماعية من مظاهر سوء التنظيم الاجتماعى أو ظهور حالات باثولوجية فى المجتمع ٠ التغير اذن فى مفهوم سوروكن انما يتم من خلال حركة دينامية لكافة العوامل الاجتماعية والثقافية داخل المجتمع فى أسلوب متفاعل ومتطور ٠

---

(١) Talcot Parsons : The social system, New Delhi Indian Edition 1972 p. 4481.

أوجبرن :

يشير أوجبرن من خـلال نظريته عن التخلف الثقافى Cultural Lag الى ان ثقافة المجتمع تشمل على عنصرين رئيسيين : العنصر الأول هو الجانب المادى أما الجانب الثانى فهو الجانب المعنوى ، ويقصد بالجانب المادى ما يسود المجتمع من مظاهر التكنولوجيا الحديثة ، بينما يشتمل الجانب المعنوى على كل ما يتعلق بالقيم والسنن الاجتماعية وغيرها ونقطة البداية فى تفسير اوجبرن لحركة التغير الاجتماعى هو انه الجانب الأول ـ المادى ـ اسرع تغيرا من الجانب الآخر ـ المعنوى ، لأن التغير الأول تغير محسوس ـ ويتقبله الافراد والجماعات فى سهولة ويسر على عكس الجانب المعنوى الذى يتعلق بتراث الجماعة وقيمها ولا شك فى مدى صرامة هذا الجانب الأمر الذى يجعله أبطأ سرعة فى تغيره عن الجانب المـادى ومن هنا يصاب بالتخلف والجمود (١) ٠

وليس من شك فى أن قسمة الثقافة الى قسمين : مادى ولا مادى قـد لا تقنع بعض علماء الاجتماع أمثـــال سوروكن ذلك لان الثقافة تمثـل كلا لا يتجزأ فضلا عن تفاعل الجانب المـادى مع الجانب الروحى فى بوتقة المجتمع وتداخل كلا الجانبين وتأثير بعضهما فى البعض الآخر يشـــير الى ديناميه المفهوم الثقافى بدلا من التجزئة الأمر الذى يمكن القول معه أن هناك تكاملا بين عناصر الثقافة ككل ٠

تلك هى نماذج من تراث الفكر السوسيولوجى المفسر لظاهرة التغير الاجتماعى وهذه النظريات تتحد فى قيامها بمحاولة دراسة التغير من منظور سوسيولوجى وان تباينت الآراء حول طبيعية التغير والعوامل المختلفة المؤثرة فى احداثه ونتائجه لكنها جميعا تشير الى حقيقة التغير الاجتماعى كظاهرة انسانية عامة قلما يخلو منها مجتمع من المجتمعات وان اتسم التغير بالنسبية الزمانية والمـــكانية بحسب العوامل المعجلة بحدوثه أو تلك التى تعـوق مســـاره ٠

وبعد ان ناقشنا فى ايجاز التاصيل النظرى لحركة التغير الاجتماعى يهمنا أن نتناول الموضوع من خلال علاقته بمجموعة من المتغيرات الاجتماعية التى

---

(١) Ogburn : A handbook of sociology pK 206.

تسود المجتمع وفى نفس الوقت تزيد من وضوح الرؤيا عند القارىء حول هذا الموضوع مثل : التكنولوجيا والتنمية والمشـــكلات الاجتماعية • وسوف نناقشها فى الفقرات التالية :

(ثانيـا) دور التكنولوجيا فى التغير الاجتماعى :

حيث نتحدث عن دور العامل التكنولوجى فى احداث التغير الاجتماعى بصفة عـــامة ، فان المدخل الى ذلك ان نتساءل : ما هو الهـــدف من تاثير التكنولوجيا على أنماط الحياة الاجتماعية ؟ والاجابة على ذلك هو احداث تغير اجتماعى ؟ أجبنا لأن التغير سمة من سمات المجتمعات المتطورة المتفاعلة مع الأحداث واذا تساءلنا لماذا تتخلف مجتمعات بعينها عن ملاحقة ركب التطور العالمى ؟ قلنا لأن هنـــاك رواسب ثقافية جامدة تعمل على ابقاء القديم على قدمه وتخشى التغير •

ان هذه الاجابات الموجزة هى فى الواقع رؤوس موضوعات هامة لاثر التغير التكنولوجى على المجتمع ، وزيادة فى الايضاح نقول اننا تعرضنا عند الحديث عن التغير الاجتماعى لمجموعة من عوامل هذا التغير • وذكرنا أن من بين عوامل هذا التغير بل وأسرعها تاثيرا فى احداثه العامل المادى او التكنولوجيا ذلك لأن من شأن هذا العامل استحداث وسائل آليـــه لها أثرها الملموس على حياة الجماعة الانسانية وفى ذات الوقت لها فوائدها المحققة كسعادة الانسان وراحته اذ لا أحد ينكر على الاطلاق كيف أن اختراع السيارة قد اختصر الطريق والزمن على الانسان بدلا من تكبده مشاق السـفر ذهابا وايابا على الدواب وسهلت له السيارة هذا العنـاء ومكنته من الوصول الى هـدفه فى ســهولة ويسر وساعد ذلك على تبـادل المنافع واحتكاك الأفراد بعضهم ببعض •

واذا كانت تلك فوائد محققة من اختراع السيارة ، فما بالك باختراع الطائرة التى ساعدت على انتقال الانسان عبر القارات والمحيطات ناقلا أفكاره وعقائده مستهدفا زيادة المعرفة ، والتفاعل مع شعوب أخرى املا فى التقدم • وفضلا عن ذلك فان اختراع وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية ،

قد ساعد نشر المعارف والثقافات وتبادلت المجتمعات شتى الوان المعرفة حتى بات المجتمع الدولى أسرة واحدة تربط أوصـــالها شبكة المواصـلات الاعلامية المختلفة ٠

تلك أمثلة من كثير أسوقها للتدليل على أثر التغير التكنولوجى الرهيب فى بناء المجتمع ووظائفه ، وللتدليل أيضا على أن أثر هذا التغير المادى أسرع بكثير من التغيرات المرتبطة بقيم الناس وتقاليدهم ، ذلك أن الانسان دأب على الاهتمام بكل شىء جديد له أثره الحسى الملموس والذى يرى نتيجته واضحة أمامه وعادفة الى سعادة الانسان ، على عكس ما اذا جاء العلماء بنظرية جديدة فى الفلسفات أو الأيديولوجيات ويطلب من الغير الايمان بافكار هذه النظرية لأنها سوف تعود بالنفع على الانسان فى هذه الحالة يثور جدل كثير حولها ، هل هى صالحة للتطبيق وما الضمان ، هل لها نتائج مؤكدة وملموسة وكيف ؟ هل هذا العالم صاحب النظرية الجديدة جـدير باحترام رأيه وكيف ؟ وهلم جرا ، تساؤلات عديدة تثور قبل أن يطمئن الأفراد والجماعات الى ســلامة النظرية الجديدة وهذا ما يفسر لنا سر الصعوبة التى واجهت الأنبياء واصحاب الرسالات فى تبليغ رسالاتهم الى ذويهم ، ومن هنا يمكن القول بان التكنولوجيا عامل هام فى الاسراع بالتغير الاجتماعى وما يؤدى اليه هذا التغير من نتائج وآثـــار ٠

وينبغى القول أن التكنولوجيا وان كانت ذات طابع مادى الا أن لهـا انطباعها الاجتماعى وعلى سبيل المثال اذا كانت الصناعة ذات طبيعة مادية الا أنها فى ذات الوقت ظاهرة اجتماعية ، فالصفة التكنولوجية ليست غاية فى حد ذاتها انما هى وسيلة لغايات اجتماعية عامة وملزمة ، وأن للعـــامل التكنولوجى وظيفة اجتماعية ، اذ حتى لو استبعدنا العمليات الاجتماعية المصاحبة للتصنيع الآلى ، لوجدنا أن ما يتخلل هذه العمليات الصناعية الفنية من شبكة العلاقات الاجتماعية داخل المصنع أو حتى داخـل أصغر وحـــدة انتاجية لوجدنا أن هذه العلاقات التى تسود بين المنتج والمشترى أو التى تسود بين أفراد المجتمع الصناعى بصفة عامة تعبر عن مدى التفاعل الجمعى بين أفراد المجتمع وجماعاته ٠ وهذا دليل على أن العمليات الصناعية فى حـد ذاتها انما تعبر عن مرحلة من مراحل الدور الاجتماعى للفرد والجماعة داخل المجتمع ، اذ بعد عملية التصنيع ، رأقول التصنيع هنا كمجال للتطبيق الفنى

أو التكنولوجيا أقول انه بعد انتهاء الدور الآلى للعمل الصناعى لوحظ أن هناك من العمليات الأخرى التى تعبر عن مدى اجتماعية العمل الصناعى لأنه ظهر فى مجتمع وينتشر ويسود فى ذات المجتمع أو فى مجتمعات أخرى ، كذلك فان له نتائجه وآثاره على البناء الاجتماعى • اقصد من وراء هذا التحليل توضيح العلاقة الوظيفية التى تربط العامل التكنولوجى كأحد العوامل الأساسية المعجلة بحدوث التغير الاجتماعى وبين الانطباعات الاجتماعية لهذا الجانب المادى •

وتجدر الاشارة الى أن ما يصيب المجتمع من تغير اجتماعى بتأثير العامل التكنولوجى وما يتركه من آثار على بناء المجتمع ووظائفه وشبكة العلاقات الاجتماعية فيه ، يؤثر بلا جدال على بناء الاسرة ووظيفتها ، وقد سبق لنا القول عند الحديث عن النظام العائلى كيف تطور هذا النظام وكيف انتقلت أغلب وظائف الأسرة الى المؤسسات الاجتماعية المختلفة ، فضلا عما أسفر من تفاعل أعضاء الأسرة ككل مع التغيرات التكنولوجية السائدة فى المجتمع ، الأمر الذى أدى الى حدوث التغير داخل بناء الأسرة ذاتها باعتبارها الوحدة الاجتماعية الأساسية المكونة للبناء الاجتماعى الشامل •

وقد صاحب هذا التغير الاجتماعى الناجم عن التكنولوجيا آثار ونتائج لها بصماتها الواضحة على الأسرة والمجتمع ، فضلا عن ظهور مشكلات مستحدثة صاحبت هذا التغير سوف نفصل فيها القول فى موضع لاحق •

خلاصة القول فى هذا المجال : ان هناك علاقة وظيفية بين حدوث التغير الاجتماعى وبين التكنولوجيا كعامل جوهرى فى ظهور هذا التغير نتيجة لطبيعةالتغيرات التكنولوجية التى أذهلت الانسان المعاصر وكان لاستثماره لنتائج هذه التغيرات آثار واضحة فى حياته الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، وان لم تخف هذه الآثار المفضلة لعالم التكنولوجيا ظهور بعض المشكلات المصاحبة لعملية التغير ذاتها والتى تركت أثرا خطيرا فى بناء المجتمع وعلاقات الأفراد والجماعات فيه ، فضلا عن مشكلات سوء التنظيم الاجتماعى التى ظهرت مع بداية التغير ، وتبذل المحاولات فى اعادة التكيف مرة أخرى • ومع كل هذا فان التغير الاجتماعى المصاحب للتكنولوجيا يحمل فى طياته وسائل علاج المشكلات الناجمة عنه •

ثالثا ـ التنمية والتغير الاجتماعى :

هناك علاقة عضوية بين مفهوم التنمية وحركة التغير الاجتماعى فى المجتمعات المختلفة • ذلك أن المجتمع الذى يبغى الوصول الى التقدم المادى والانسانى ، لا ينبغى أن يقف جامدا عن ملاحقة ركب التطور العالمى ، ومن هنا برزت أهمية التخطيط للتنمية الشاملة كأداة لاعادة صياغة شكل الحياة الاجتماعية بما يشجع على حدوث التقدم المادى والانسانى وان التقاعس فى هذا الطريق يحدث بالتالى نتائج عكسية ويصيب المجتمع بالتخلف •

التنمية اذن وسيلة أو أداة من أجل التغير الشامل لكافة مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها أملا فى الوصول الى التقدم • ولكن التنمية تقابلها معوقات كثيرة خاصة فى العالم النامى وتلك المعوقات فى نفس الوقت لا تساعد على التعجيل بالتغير لان هناك تيزما بين التنمية والتغير ، هذه المعوقات ذات طبيعة مادية وانسانية وادارية فالمجتمع النامى بعامة لم يستثمر بعد كافة مقومات موارده الطبيعية نظرا لتخلف الجانب الأول أو القصور عن الاستثمار الأمثل لتلك الموارد نظرا لضعف الامكانات الفنية وغيرها ، وفضلا عن ذلك فانه من أكثر معوقات العمل التنموى فى المجتمع النامى هو الجانب البشرى الذى هو الغاية والوسيلة ، فهو الغاية من كافة الاستثمارات المادية ، التى تعمل على اسعاده وراحته ، وفى نفس الوقت هو الوسيلة لخلق الاستثمار الناجح للامكانات المتاحة ، وتأتى الشكاة من عدم قدرة هذا الانسان على استثمار قدراته وميوله بما يضمن ناتجا فعالا ومثمرا فى التنمية ، وقد يكون وراء هذا العجز عوامل كثيرة تتعلق بانتشار ظاهرة الأمية وهى من أشد أعداء حركة التخطيط والتنمية فى مجتمع ما ، لان الانسان الجاهل قلما يعمل تفكيره ويستثمر قدراته فى تسخير موارده لخدمته فضلا عن بساطة تطلعاته المستقبلية • وقد يكون وراء هذا الانسان الامى قيما وتقاليد اجتماعية تقف حجر عثرة فى سبيل تقدمه وتطوير نمط شخصيته ، اذ المعروف أنه فى المجتمعات التقليدية والمنعزلة تمثل العادات والتقاليد عقبة اساسية فى سبيل حركة التنمية والتغير الاجتماعى حفاظا على ما هو قديم نظرا لعدم الثقة فى كل ما هو جديد ، فضلا عما يجره التغير من خلخلة المكانات الاجتماعية واعادة توزيع الأوار والمسئوليات فى المجتمع من جديد وهو أمر غير مستحب خاصة من كبار السن والشيوخ فى المجتمع ، وفى هذه

الحالة قد يحدث ما يسمى بصراع الأجيال الثقافية ، حيث يرغب الشباب فى التغير • بينما يرفضه الكبار وهنا يقف الطرفان فى صراع مستمر ، ومهما كانت نتيجة هذا الصراع ، فان حالة من الكمون والرفض تنتاب الجانب المهزوم فى عملية التغير ، يمثل هذا الجانب عنصر المقاومة المستمرة لكافة جوانب خطة التنمية •

وفضلا عما تقدم فان المرأة وهى تمثل نصف التعداد الديمجرافى للمجتمع تقريبا ليس لها دور مؤثر وفعـــال فى حركة التنمية والتغيير الشامل وهى تمثل قطاع متخلف فى المجتمع بسبب انتشار ظاهرة الأمية فى هذا القطاع بنسبة عالية خصوصا فى المجتمع الريفى فضلا عن تخلف مكانة المرأة ودورها ومسئوليتها بعامة عن مكانة ودور الرجل فى المجتمع • كل هذا نتيجة للنظرة التقليدية للمرأة باعتبارها جنسا ضعيفا خلق للبيت وتربية الابناء فحسب •

ان تخلف الجانب الانسانى فى مجال العمل التنموى فى المجتمع النامى يمثل فى حقيقة الأمور مشكلة ثقافية عامة فلما تساعد على التنمية والتغيير ، بل على العكس تبرز تراثا اجتماعيا متخلفا ضاربا أطنابه فى النفس البشرية وفى كافة مقومات السلوك الفردى والجماعى والذى يظهـر فى كافـة مظاهر العمل التنموى ، فالانسان قلما يساعد على تنميـة مدخراته باعتبار أن هذه المدخرات هى حجر الزاوية فى أى عمل تنموى وانسان المجتمع النامى قلمـا ينظر الى مشـكلة التضخم السكانى بعـين الاعتبار فيحاول ضبط النسل لاحـداث التوازن السكانى المطلوب لدفع عجلة التنميـة فضلا عن أن ذلك الانسان تنقصه الخبرة والمهارة والتدريب اللازم فى مجال عمله ، عـلاوة على تقاعسه عن الاسهام بشكل جاد فى مشروعات الخدمة العـامة التطوعية الى آخر ذلك من مظاهر السلوك المعوق لحركة التنمية والتغيير •

والى جانب هذه المشكلات ذات الطبيعة المـادية والانسانية ، فهناك مشكلات ادارية تعوق التنمية خاصة فيمـا يتعلق بتوفر الأجهزة المصرفية اللازمة أو التكامل بـين كافة الأجهزة المشتركة فى تنفيذ خطـة التنميـة ومتابعتها • كل هذه الأمور انما تتعلق بطبيعة النظام الادارى المسير لعملية التنميـة •

وينبغى القول بان تلك المشكلات المنوه عنها والتى لا تسـاعد على دفع

عجلة التنمية فى الطـــرق الصحيح ، هى فى نفس الوقت معوقات جوهرية لحركة التغير فى المجتمع باعتبار أن التنمية أداة أو وسيلة لاحـــداث التغير المنشـــود ٠

وعلى الرغم من معاناة المجتمعات النامية من هذه المشكلات وغـــيرها الا أننا نلمس بوضوح جهودا مكثفة من أجل التخلص من هذه المعوقات حتى لا تتخلف المجتمعات عن ركب التطور العالمى فى كافة المجالات وحتى تتمكن من احداث تغيير ولو نسبيا فى كافة مظاهر الحياة ٠

ومن بين الجهود المبذولة من أجل توفير المناخ المناسب لتنفيذ خطـة التنمية الشاملة وتغيير نمط الحياة التقليدية ، ما تلجأ اليه كافة المؤسسات الرسمية والشعبية من نشر الوعى التخطيطى عند الفرد والجماعة قولا وفعلا عن طريق وسائل الاتصال المختلفة والنشرات الاعلامية الهادفة والاســـهام بالجهـــد التطوعى فى كافة مشروعات الخدمة العامة ـ بمعنى آخر : تحاول الحكومات أن تعنى بالجانب الانسانى لخطة التنمية وتهتم بنوعية الانسان فى المجتمع لأنه هو الغـاية وهو الوسيلة كمـا سبق القول من كافة مشروعات الخطـــة ٠

وفى ذات الوقت يهتم المسئولون بالتنمية الادارية وهى عصب الجانب التنموى فكم تتقاسى مشروعات التنمية من خلل وقصور طالمـا كانت الادارة ليست على مستوى المسئولية الادارية اللازمة ٠

وفضلا عن ذلك فقـد اتجهت المجتمعات الى تخطيط القوى العـــاملة فى المجتمع بحيث لا يكون هناك قوى عاملة ، أو تخصصات لا جدوى من ورائها ومن شأن هذا التخطيط للعمالة أن يرفع مستوى الأداء عند العاملين فضلا عن التخصص وتقسيم العمل بين جميع العاملين فى المشروعات المختلفة مما يؤدى الى نتائج أفضـــل ٠

وبالاضافة الى كل ذلك تحاول المجتمعات النامية أن تقضى على مشكلة الأمية السائدة بالجهود الرسمية والتطوعية وبالحوافز المختلفة ، وتعمل على التخفيف من المشكلة السكانية بالتوعية اللازمة والدعم الفنى والطبى الهادف، فضلا عن ممارسة كافة أساليب التـــدريب التى ترفع مســتوى الأداء عنـــد

العاملين وتنهض بكفاءاتهم الحاليـــة وتشجع فيهم روح التعاون والاسهام الفعال من المؤسسات التعاونية فى مشروعاتها الهادفة ، فضلا عن التعـــامل بحرية مع كافة الأوعية الادخارية لعلاج مشكلة التمويل لمشروعات الخطة ٠ مع الاهتمام بانشاء الأجهزة المتخصصة فى مجالات التخطيط والتنميـــة مع احداث التكامل المطلوب بينهـا ومساعدتها على أداء العمل بأسلوب فعـــال ومثمـــر ٠

تلك هى بعض الخطوات التى تتخذها المجتمعات النامية من أجل وضع العمل التنموى فى اطاره الصحيح ، ويمكن أن نخلص الى القول بأن التنمية الشاملة سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية انما هى تنمية متكاملة فى الأهداف والوسائل ، وهى متلازمة تلازما عضويا مع حركة التغيير الشامل فى المجتمع، فمع حدوث التنمية بأسلوب ناجح يحـدث التغير فى كافة قطاعات المجتمع ، وبالتالى يؤدى الى تغير نمط الحياة الى مستوى أفضل ، وبذلك يمكن القول أن التغير انما يتجه وجهة بنائية تقدمية فى مساره ٠

رابعا ـ التغير الاجتماعى والمشكلات الاجتماعية :

سبق أوضحنا أن هناك ظواهر باثولوجية تصاحب حـدوث التغـير الاجتماعى خاصة مع بداية حركة التغير ما لم يحدث فيما بعد التكيف المطلوب مع الأوضاع المتغيرة ٠

ومن بـــين المشكلات المصاحبة للتغير الاجتماعى ، حـــدوث تفكك فى العلاقات الاجتماعية بعـد أن كانت فى حالة متوازنة قبـل حـدوث التغير ، خصوصا بعد أن كان التيار الاجتماعى فى حالة ثبات وتترابط أدوار ووظائف أعضاء الجماعة وفقا لنمط من المعايير والقيم المتفق عليها ولكن مع حـــدوث التغير فى بناء المجتمع ووظائفه نتيجة عوامل كثيرة مثـل الهجرة الداخلية أو الخارجية أو الرغبة فى التغير بعـد ان سئم الناس الحيـــاة الرتيبة التى يعيشونها وغير ذلك من عوامل ، فى هـذه الحـالة تتعقد شبكة العـلاقات الاجتماعية السائدة خاصة مع اتساع الكيان المورفولوجى للمجتمع المتغير مع حدوث زيادة سكانية ٠ وظهور تطلعات جديدة لا تفى بها الامكانات المتاحـة ٠ كل هذا يؤدى الى حدوث تغيير فى نمط العـــلاقات الاجتماعية السائدة حتى يمكن ان يواكب السلوك الفردى والجماعى الوضعية المستحدثة ٠

حتى انه مع تسليمنا بوجود مجتمعات محلية منعزلة اجتماعيا سواء كان ذلك فى مجتمع القرية أو المجتمعات الهامشية فى الحضر الأمر الذى يدعونا الى القول بانتظام وثبات الأدوار والمكانات الا أن هذا الوضع لابد ان تصيبه موجة التغير الزاحفة اليه من مجتمع المدينة وبفعل وسائل المواصلات أو الاتصالات المتنوعة مثل الاذاعة والتلفزيون والصحف وغيرها ، ومن هنا تظهر الرغبة من جانب الشباب الى ضرورة مواكبة وضعية المجتمع القروى فى التغير الشامل وهنا يحدث تخلخل فى أدوار ومراكز الأفراد فى المجتمع المتغير لعدم وجود أنماط محددة للأدوار الاجتماعية .

وفضلا عن ذلك قد يصيب المجتمع المتغير تفكك فى بنائه ووظائفه نظرا لاختلاف مد التغير فى أجزاء البناء ، فتتخذ موقفا معينا سريعا فى تغييره فى حين يتخلف موقع آخر عن التغير بنفس النسبة ومن هنا يكون التخلف الاجتماعى فى قطاعات المجتمع وبناءاته .

يصاحب التغير الاجتماعى أيضا تغيرا فى الأنساق التكنولوجية بصورة سريعة وملحة ، وفى ذات الوقت يصيب التغير كافة الأنساق القيمية فى المجتمع ولكن بصورة بطيئة عن التغيرات التكنولوجية . وهنا يحدث ما ينادى به أوجبرن من تخلف ثقافى نتيجة التغير الغير المتوازى فى أجزاء الثقافة اذا سلمنا بقسمة الثقافى الى جزء مادى وآخر معنوى ، وينبغى القول ان حدوث التغير فى الأنساق القيمية قد يسبته كما سبق القول صراع بين الأجيال الثقافية ناتج عن عدم ثبات هذه الأجيال على ما هو ضرورى للتغير فضلا عن رفض كبار السن بصفة عامة للتغيرات الجديدة لأنهما تمس مكانتهم الاجتماعية ودورهم فى تكوين علاقات محافظة ، مامونة العواقب .

ومن المشكلات المصاحبة للتغير الاجتماعى ما يقال عن سوء التكيف مع الأوضاع المستحدثة وتبدو مشكلة سوء التكيف هذه حينما يهاجر بعض الريفيين مثلا الى المدينة لأسباب تتعلق بالعمل أو الدراسة أو السكنى أو غير ذلك . وفى هذه الحالة يواجه المهاجر انماطا من السلوك الفردى والجماعى لم يألفها من قبل فى قريته ، وفى هذه الحالة يكون أمام أحد أمرين : اما أنه يستسيغ التغير القائم فى مجتمع الحضر ، أن يكيف سلوكه وافعاله مع الوضعية الجديدة وفى هذه الحالة يتخلى عما ورثه عن الآباء والأجداد من قيم

وتراث اجتماعى وثقافى يمثل ماضيه • واما أنه يبقى على السلوك القديم الذى هاجر به وفى هذه الحالة لابد أن يواجه مشكلات سوء التكيف، وقد يلجأ فى نهاية المطاف الى العودة الى قريته مرة أخرى •

تلك هى مشكلات اجتماعية تبدو واضحة على مستوى المجتمع ككل ، لكن يصاحب التغير الاجتماعى مشكلات مميزة أصابت الأسرة فى بنائها ووظائفها وقد سبقت الاشارة السريعة لهذه المشكلات ونود أن نفصل القول فيها فى هذا المقام • فالأسرة كوحدة تؤثر وتتأثر بما يسود المجتمع من تغيرات فى كافة الاتجاهات ، وان أبرز المشكلات المصاحبة للتغير الاجتماعى هى مشكلات الدور فى الأسرة المتغيرة ، اذ حدث بعد أن انفصلت المرأة اقتصاديا عن الزوج وأصبحت عضوا مساهما فى انعاش الأسرة اقتصاديا أصبحت فى حاجة الى سلطة اتخاذ القرار داخل الاسرة جنبا الى جنب مع الزوج ومن هنا بدأ صراع الأدوار بين الزوجين وقد يؤدى فى نهاية الامر الى حدوث مشكلات مضاعفة تقضى الى الطلاق والتفكك الأسرى (١) •

ويشير الن Allen الى تأثير التكنولوجيا كأحد عوامل التغير الاجتماعى على الأسرة فيرى أن الأسرة وان كانت ثمرة للعلاقات البيولوجية والنفسية ، الا أنها فى نهاية الأمر تمثل الوحدة الاجتماعية التى تكون منها المجتمع ، وقد تأثرت الأسرة الأوربية بالثورة الصناعية وكانت لها نتائج خطيرة على بنائها ووظائف الأفراد فيها خاصة بعد ان عملت المرأة وتمثل هذه الثورة تأثيرا خارجيا أدى الى حدوث تغير اجتماعى علىنطاق الأسرة مع ما تحمله الأسرة فى الداخل من عوامل التغير فى العلاقات الأسرية سواء بين الزوجين أو بينهم وبين الأبناء • كما يشير ألن أيضا الى العوامل البيولوجية فى احداث التغير داخل الأسرة خصوصا فيما يتعلق بتوزيع الأدوار داخلها بحسب الجنس فالمرأة لها دور محدد وللذكور دور مميز يرى أن حركة التغير الشامل قد أصاب هذه القسمة للأدوار ، بل ان الأسرة تأثرت بالعوامل الأيديولوجية للتغير خاصة فيما يتعلق بالجانب العقيدى لها فالأسرة فى

---

(١) د • عاطف غيث : التغير الاجتماعى والتخطيط • دار المعارف ١٩٦٦ ص ١١٨ •

النظام الرأسمالى لها تطلعات معينة تختلف عن زميلتها فى المعسكر الاشتراكى كما تختلف أيضا فى اسلوب التربية وفقا لهذا المبدأ ٠

ومن بين العوامل التى دفعت الى تغير الأسرة أيضا وسائل الاختراع الحديثة وانتشار التحضر والرغبة فى تنظيم النسل الى غير ذلك من الامور التى أصبحت من سمات الأسرة المعاصرة ٠

وبهذا يمكن القول أن التغير الاجتماعى قد يكون حركة الى الأمام فيعمل على احداث التقدم المنشود ٠ أو على العكس قد يكون حركة الى الخلف فيؤدى الى التخلف والانحلال ٠ لكن المشكلات المصاحبة لهذا التغير ليست بالضرورة تؤدى الى تخلف المجتمع وانما كما سبق القول تحمل موجات التغير بدور العلاج سواء فى الجانب القيمى او المادى ٠ واذا ما عجز المجتمع عن علاج سوء التنظيم الناشىء عن التغير فى هذه الحالة يكون التخلف نتيجة حتمية ٠

خلاصة القول أن دراسة التغير الاجتماعى مبحث أساسى فى الدراسات السوسيولوجيه ويفيد فى الوقوف على اتجاه المجتمع التغير نحو التقدم أو على العكس الى الانحدار والتخلف وقد سبق لنا توضيح كافة النظريات المفسرة للتغير ، فضلا عن توضيح الصلة الوثيقة التى تربطه ببعض المتغيرات ذات الأهمية فى احداثه أو اعاقته حيث تحدثنا عن دور التكنولوجيا فى التغير والتلازم بين التغير والتنمية فضلا عن ابراز بعض المشكلات المصاحبة لحركه التغير الاجتماعى بعامة ٠

رابعا ـ التنظيم الاجتماعى :

التنظيم الاجتماعى من المباحث الهامة فى دراسات علم الاجتماع نظرا لأهميتـــه وخطورة الدور الذى يؤديه فى تلبيـــة حاجات الأفراد والجماعات وتنظيمها بما يؤدى الى استقرار الحياة الاجتماعية بصفة عامة ٠

وسوف نقوم بدراسة مفهوم التنظيم الاجتماعى من خـــلال العناصر التـــالية :

أولا : مفهوم التنظيم الاجتماعى وأهميتـــه ٠

ثانيا : دعائم قيام التنظيم الاجتماعى ٠

وتتناول دراسة العناصر السابقة وتفصل فيها القول فيما يلى :

أولا : مفهوم التنظيم الاجتماعى وأهميته :

من البديهى أن الانسان لا يستطيع أن يعيش بمفرده ، ذلك لأنه يعتمد على مجتمعه فى تلبية حاجاته الضرورية والكمالية على حد سواء ، ولن يتمكن الانسان من تحقيق ذلك عشوائيا ، بل لابد من تنظيم اجتماعى يساعده فى تحقيق ذلك • ان كل فرد منا يريد أن يشعر بالرضا ، وهو بالضرورة يخلق نوعا من العلاقات الاجتماعية بينه وبين غيره ، بل تطور تلك العلاقات بحسب ظروف وملابسات العصر الذى يعيش فيه ، انه لن يتمكن من تحقيق ذلك الا من خلال تنظيم اجتماعى يحتوى كل جهوده من أجل تأكيد اجتماعيته كانسان ، ولكن ماذا نعنى حين نقول ان الانسان حيوان اجتماعى ، اننا نعنى بذلك انه فى حاجة الى تكوين أسرة لترعاه وتنشئه صغيرا وتعلمه المعارف الأساسية وتعرفه لغة الحماية ، كذلك فانه أيضا فى حاجة الى المدرسة لتربيه وتثقفه ، كما انه فى حاجة الى سياسة لحمايته ، فضلا عن حاجته الى تنظيم اقتصادى كى يمده بمستلزمات العيش ، وهو أيضا فى حاجة الى الحكومة لكى تنسق له كل هذه الحاجات ، ومن هنا فان التنظيم الاجتماعى يساعد الانسان من أجل العيش فى جماعة ويكسبه الخبرة فى أى فترة تاريخية •

ان دراسة اساسيات التنظيم وأسباب التنظيم أمر مفيد من أجل توفير حياة اجتماعية اكثر استقرارا ، اننا لا نعرف أهمية التنظيم الاجتماعى الا اذا أدركنا كم يحوط بنا من اخطار تنجم عن سوء التنظيم ، لقد كان الناس قديما يعملون من خلال تنظيم بسيط حيث لم يكن الأمر يؤدى بالضرورة الى سوء التنظيم نظرا لقلة عدد السكان وتنفذ الأمر الذى جعلهم يعتمدون على بعضهم دائما فى اطار علاقات اجتماعية اولية بسيطة • استطاع الانسان القديم اذن أن يعيش فى اطار مجتمعات صغيرة نسبيا ، وهو الآن يعرف كيف يتعامل داخل اطار مجتمعات صناعية معقدة ، وكان الانسان القديم يخشى للحيوانات والعواصف والنار والأمراض لكن اختلف الأمر الآن حيث اصبح الانسان المعاصر يتلمس احتياطات لازمة تجاه كل هذه الأخطار ، هذه كلها حالات تعبر عن أنماط للسلوك الانسانى فى أحوج ما يكون الى

التنظيم خاصة عند الانسان المعاصر الذى هو فى أشـــد الحاجة الى تنمية مواهبه لمواجهـة كافة الاخطار المحيطة والمتمثلة فى مظاهر ســـوء التنظيم الاجتماعى ولم تكن الوسيلة فى الماضى بكافيـة لاعادة التنظيم الاجتمـاعى مثلما هو الحال الآن بسبب جهله باساليب التنظيم المعاصر فضـلا عن بساطة التركيب المورفولوجى للمجتمع البدائى ، لقد كانت حركات الاصلاح ووسائل التشريع والثورات كلها أمور عملت على اعادة تنظيم الحياة الاجتماعيـة الى حالة سوية بعد مظاهر من الاضطراب والفوضى (١) ٠

يبدو اذن من تتبع مظاهر التنظيم ودوافعه قديما كان أو حديثا الحاجة الماسة اليه ، والضرورة الملحة للاستعانة بكافة الأجهزة التنظيمية خاصـــة فى الوقت المعاصر من أجل أن ينتظم الانسان ككائن اجتماعى فى اطار تنظيم اجتماعى يشبع رغباته وميوله وحاجاته ٠ وليس بخـــاف أنه لكى يستقيم أمر الانسان ويؤدى دوره من خلال التنظيم الاجتماعى السائد فى المجتمع عليه فى هذه الحالة أن يتكيف مع مستحدثات العصر وأساليب التنظيم المتجددة ، نعم انه يحيا وفقا لاطار من السنن الاجتماعية المتمثلة فى العادات والتقاليد والأعراف ، لكنه لكى يحيا حياة اجتماعية سوية عليه أن يطوع عاداته رغم صرامتها بحيث تواكب الوضعية التنظيمية المناسبة أملا فى تحقيق هـدفه وعلاج كافة مشكلاته التى يعجز عن حلها منفردا ٠

التنظيم الاجتماعى اذن ، وكما يشـــير أوجبرن قاعدة صلبة يتأسس عليها بناء المجتمع انه يشتمل على الجمـاعات التى تنتظم سلوكها بنائيا ووظيفيا ، واذا قلنا بنائيا ، فمعنى ذلك أن البناء ما وجـد الا ليؤدى وظيفـة ويتعلق ذلك بمـا يسمى بالأدوار الاجتماعيـة ، وما يترتب عليها من ظهـور مكانات اجتماعية وتنظيمات نمطية للأفراد والجماعات ٠

وتبدو وظيفة التنظيم الاجتماعى من خلال مظهرين ، الاول هو تداخـل الأجزاء وتفاعلها والمظهر الثـانى هو مظهر التنظيم الاجتمـاعى النـــاتج من التفاعل السابق فى صورة كلية ذات هدف خارج عن ارادات الأفراد كأفراد ٠

---

(١) Robert E.L. Faris : Social Disorganization, the R land press comp. Second Edition, New York 1955 p. 7

ان اختيار مدى كفاية التنظيم هو نجاحه فى اكتساب غايات مجمعة ، وتعتمد الكفاية هنا على تنظيم الأجزاء أو تبدو من خلال الدور ووظيفة النسق الاجتماعى ، وحين يتوفر الانسجام بين الأجزاء فان درجة الكفاية تكون أعظم فيما اذا كانت تلك الأجزاء غير متوازية ، ويتطلب النسق الاجتماعى ضرورة التنظيم بين الوحدات المتفاعلة معه ، وربما يضطرب هذا التوازن اذا أصابه التغير الاجتماعى والذى ربما بالتالى يعيد التنظيم حالة من الاصلاح والحيوية ٠

وان النمط الخاص بالتنظيم الاجتماعى هو النظام الاجتماعى بأوسع معنيه مشتملا على الادوار متضمنا الوظائف الأساسية الاقتصادية منها أو السياسية والعائلية والدينية وهى أوسع النظم انتشارا لانها ضرورة لأى مجتمع (١) ٠

معنى ذلك أن التنظيم الاجتماعى مطلب ضرورى لأى مجتمع من المجتمعات ولكن التنظيم بالفهم السوسيولوجى انما ينشأ نتيجة التقاء رغبات وحاجات الأفراد والجماعات نحو ضرورة تنظيم أنفسهم ويمثل عنصر التفاعل بينهم فعلا اراديا لضمان استمرار التنظيم فى أداء دوره لتحقيق الغرض المنوط به ، وليس من شك فى هذه الحالة أن التوازن فى العلاقات الاجتماعية بين أعضاء التنظيم يعطى دفعة قوية نحو ترسيخ قواعده ومعنى هذا أن قيام التنظيم الاجتماعى بوظائفه انما يرتبط بمقومات النسق وأهدافه وعوامل التغيير ، بحيث أن أى تغيير فى البناء الاجتماعى سوف يتأثر به التنظيم القائم وفى هذه الحال لا نستبعد حدوث مظاهر سوء التنظيم الى أن يتم التكيف مع الأوضاع الجديدة ٠ ويرتبط التنظيم الاجتماعى فى المجتمع بالنظام السائد اقتصاديا أو عائليا ٠٠٠ الخ باعتبار أن النظام يمثل القواعد والأسس التى يسير الناس حياتهم وتنظيماتهم وفقا لها ٠

ان التنظيم الاجتماعى بالمفهوم السابق له عدة خصائص منها : انه يعتمد على توفر العنصر البشرى الذى يضمه التنظيم ، ذلك أن الانسان هو المحرك الأساسى لأى تنظيم اجتماعى ، والى جانب العنصر البشرى يلزم

---

(١) Ogburn : Op. Cit. p. 431

أن يكون هناك أدوار معينة للانسان ، والا فما الداعى الى تنظيم يكون أعضاؤه فى حالة سكون أو ثبات وقد يكون التنظيم الاجتماعى عبارة عن جماعات معينة تتباين فى درجة اتساعها وأنشطتها وخصائصها وتأثيرها وعلى هذا الأساس فان درجة التفاعل التى تحدث داخل التنظيم تتغير وفقا لأسس متباينة تمليها ظروف الجماعة ٠

ولقد سبق أن أوضحنا أن التنظيم قد يعتريه التغيير ، ويجب أن نشير فى هذه الحالة أن هذا التغيير انما يصيب الأجزاء المتفاعلة داخله التى قد يتسبب عنها ظهور نوع من المشكلات نتيجة لدرجة التفاعل وشدته ، وعلى هذا فانه يمكن القول أن التفاعل الرشيد والايجابى بين أجزاء التنظيم وأعضائه يحقق درجة من التكامل فيما بينهم الأمر الذى يساعد على الاستفادة من كافة المعطيات الاجتماعية التكنولوجية التى تسود المجتمع ، وبالتالى تعمل على تطوير التنظيم الى أفضل وتغير من أنماط الأنشطة المتفاعلة بحيث تخلق بينها درجة من الانسجام فلا يكون هناك محلا للصراع الذى يهدد التنظيم ويحطمه ٠

ان عملية التغير المنتظم لعناصر التنظيم والتجديد المستمر لأعدائه بحسب المتغيرات السائدة فى المجتمع عملية معقدة وأحيانا صعبة فى أن تميز السبب من النتيجة ٠ وقد ترتبط درجة التغير فى التنظيم بما يسود المجتمع من عوامل تكنولوجية وزيادة سكانية ، وفى هذه الحالة لايجب الاعتقاد فى ان هذه التغيرات انما تمر فى سلام ، بل ربما يقاومها أعضاء التنظيم الاجتماعى ومن يستطع التكيف معها يكون قد استطاع أن يحدث تكاملا بين أعضائها (١) ٠

وجدير بالذكر أن حركة التغير فى أهداف التنظيم الاجتماعى أو فى عملياته من أجل أداء دوره كاملا أمر تمليه ظروف المجتمع والمتغيرات السائدة فيه لأن التنظيم انما ظهر من خلال المجتمع ويعيش فى اطاره فكيف يسلم مما يصيب المجتمع ذاته من تغيرات أيا كانت دوافعها أو العوامل المشجعة على

John F. Cuber : Sociology, Appleton-century Crofts, Inc. New York, 1947 p. 505.

حدوثها ، وبالتالى فلا غرابة من ظهور بوادر الصـــراع أو التكيف معها من جانب الأعضـــاء ٠

ويشير كوبر Cuber ان أسس التنظيم الاجتماعى من خـلال تفسيره لكيفية خلق التنظيم والعوامل المؤثرة فى تدعيمه ، فـــيرى أن هناك بطبيعة الحال تداخلا مستمرا فيمـــا بين الأفراد والجماعات من أجل تنظيم أنفسهم لاشباع حاجاتهم ٠ هذا فى الوقت الذى يسود فيه التخصص وتقسيم العمل وهو سمة من سمات العصر الحديث ، لكن هذا التخصص كان من بين دواعى ظهور التنظيمات الاجتماعية لتنسيق الجهود وتفاعل الأنشطة بـــين الأفراد والجمـــاعات ، وباختصار فان التنظيم الاجتماعى سوف يكتسب تدعيما وتنشيطا من جانب الأعضاء وذلك من خلال أسلوب التنشئة الاجتماعية الذى تلقاه الفرد منذ نعومة أظفاره فى الأسرة ولهـذا فان الأفراد يتقبلون الدخول فى تنظيمات اجتماعية فى بساطة وفاعلية ٠

ان النقطـــة الجديرة بالمناقشات فى فهم كوبر للتنظيم الاجتماعى هى تفسيره لأسس التنظيم فى اطار مبـدا تقسيم العمل والتخصص الذى يسود عالم اليوم واعتباره هذا المبدأ دافعا لأعضاء التنظيم الاجتماعى للتفاعل سويا بل حتى مع أعضاء تنظيمات اجتماعية أخرى من أجل تحقيق هـدف التنظيم واشباع حاجات أعضائه معنى هذا أن مبدأ التخصص أو تقسيم العمل لا يمنع بحال من قيام تنظيمات اجتماعية لها أهداف اجتماعية محددة وواضحة ، بل على العكس فان من شـــأن تخصص أعضاء تنظيم معـين اقتصادى كان أو ترفيهى أو ٠٠٠٠ أن يخلق درجـــة من التفاعل المنظم والهـــادف مع أعضاء التنظيمات الأخرى حرصا على استمرار تنظيم حياة الفرد والجماعة بمـا لا يهدد بناء المجتمع بل يعمل على تدعيمه واستقراره ٠

وينبغى القول ان التنظيم الاجتماعى قـد درس فى اطـــار اتجاهات اجتماعية متباينة من بينها تفســـير النظريات الاجتماعية التقليدية لأسس التنظيم ، فلقد كانت النظرية الوضعية تعبر عن درجة التكامل بـــين المثالية والبرنامج الايجابى للاصلاح الاجتماعى ولقد اهتمت بمجال التطبيق لأنـــه الحل العمل لكافة المشكلات الاجتماعية الناتجة عن سوء التنظيم الاجتماعى فى المجتمع ، وعن طريق تطبيق فلسفة التنظيم فى اطار الواقع الاجتماعى يمكن

أن يطور البرنامج التنفيذى سبل الاصلاح فى المجتمع • كما ظهرت النظرية المثالية لتفسير التنظيم الاجتماعى فى الغرب استجابة لرغبة مبيتة من جانب الارستقراط وحرصهم على تملك الأراضى كوسيلة لفرض تنظيمات معينة تتفق والوضعية الملائمة لحالة العصر •

ولقد تطورت نظرية التنظيم بعد كونت وسبنسر وأتباعهم واخذت شكل المقارنة بين النظم للابقاء على الصالح منها الذى يتفق وارادة الفرد والجماعة •

وفوق ذلك فلقد ظهرت نظرية التنظيم الاجتماعى للصراع كمطبق لمبادىء وأسس النظرية الوضعية واستجابة لأهدافها ومراميها •

كما نادت النظرية العضوية باهمية التواصل بين الأفراد والجماعات التى تتباين اتجاهاتهم من أجل أحداث التداخل اللازم بينهم لينم التفاعل المثمر ابقاء على أوضاع تنظيمية هادفة (١) •

وتشير تلك الاتجاهات المتباينة الى أهمية دراسة التنظيم الاجتماعى ودعائمه وفلسفاته وفقا للاطار المجتمعى الذى يوجد فيه التنظيم ، كما انه ليس بخاف مقدار ما تفرضة المؤثرات الاجتماعية من أساليب مختلفة توجه دراسة التنظيم وفقا لحاجة المجتمع الى تنظيم اجتماعى معين ، ولعل هذه الاتجاهات النظرية تشير فى ذات الوقت الى حاجة المجتمع المعاصر الى توفر التنظيمات الضرورية نظرا لتعقد شبكة العلاقات الاجتماعية وحاجة الفرد والجماعة الى اطار معين ينتمون اليه فى مجتمع يتغير بين لحظة وأخرى فكان التنظيم فى هذه الحالة يشبع رغبة داخلية عند الأفراد والجماعات نحو الانتماء فضلا عن أهميته فى تلبية حاجاتهم ومتطلباتهم الضرورية ومن هذا المنطلق تكون أهمية التنظيم وفلسفته بل وضرورته للمجتمع ذلك لان الاطار التنظيمى يعبر فى نفس الوقت عن مقدار التقدم الذى احرزه المجتمع فى مختلف المجالات •

---

(١) Don Martindale : Institutions, organ-izations and Mass society, Howghton Miffline comp. Booston U.S.A. 1966.

ثانيا : دعائم قيام التنظيم الاجتماعى :

أوضحنا فى الفقرة السابقة أهمية قيام التنظيم الاجتماعى ليؤدى بدوره فى الحفاظ على استقرار وثبات البناء الاجتماعى ٠

غير أن أى تنظيم اجتماعى يلزم لكى تكون لـــه فعاليـة أن يرتكز على دعائم صلبة تمكنه من أداء وظيفته فى سهولة ويسر ، وهى بمثابة موجهـات لتصرفات وسلوك الأعضاء وفق ما ترتضيه القيم السائدة وما تحتمه فلسفة التنظيم وفى ذات الوقت تمثل هذه الدعائم أداء اجتماعية ضابطة تشكل سلوك الفرد والجماعة بالتوجيه تارة وبالقهر تارة أخرى اذا لم يجد عنصر التوجيه اذن ليس التنظيم الاجتماعى جهود مبذولة من أجـل خدمة الجماعة فحسب وانما يلزم لهذه الجهود فى نفس ضوابط معينة تمثل جانب الجزاء لكل من يخالف أهداف التنظيم ٠

ومن بين دعائم قيام تنظيم اجتماعى ناجح فى المجتمع توفر نظـــام تربوى سليم يعمل على توجيه الفرد والجماعة ســـواء فى الأسرة أو المؤسسة التعليمية أو المؤسسات المجتمعة المختلفة ومنها أجهزة الاتصـــال من صحافة واذاعة وتلفزيون ٠٠٠ الخ ان نجاح نظام التربوى فى المجتمـــع فى توصيل أهدافه وفلسفته الى الفرد والجماعة يساعد بلا أدنى جدل فى أرساء قواعـد التنظيم الاجتماعى وتدعيمه ، بل أنه يمكن القول أن النظام التربوى بمفهومه الشامل هو الاطار التوجيهى فى حقيقة الأمر للسلوك : بمعنى أن قدرة النظام على تثبيت معالم التراث الاجتماعى والثقافى عند أعضـــاء التنظيم وتمثلهم لمايسود المجتمع من قيم أو سنن اجتماعية ، يعتبر دعما لأى تنظيم اجتماعى لأنه يســـاعد على التكيف الاجتمـاعى بين الأفراد والجمـاعات حيث أنهم يتقاسمون قيما واحدة وأهدافا ثابتة ٠

وطريق النظام التربوى فى المجتمع الى الوصول لهذا الهدف لا يتـــم عشوائيا وانما يتم عن طريق تساند وتفاعل مؤسسات اجتماعية متشـابهة الوظيفة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة والنادى ووسائل الاعلام المختلفة ، كلها تساعد على تنشئة الفرد تنشئة سوية خاصة الأسرة التى تتلقى الفرد منذ الطفولة وتلقنه تراث الجماعة وعاداتها وتقاليدها بحيث يشب محبا لمجتمعـه محترما لنظمه ومعاييره ، وتجدر الأشارة الى نقطة اساسية فى هذا المجال وهى

أنه من الأهمية بمكان أن يكون هناك تكامل بين وظيفة هذه المؤسسات. واتفاق تام على ما يمكن توصيله للفرد أو الجماعة ، أنه من الضرورى بمكان أن تتضارب مؤسسات النظام التربوى أو أن تتصارع فيما بينها بحيث ان ما تبنيه الأسرة فى نفوس النشىء من قيم واتجاهات تلغيه وسائل الاتصال المختلفة عن طريق ما تعرضه على الجماعة من قيم مغايرة تماما او مناقضة لقيم المجتمع بأسلوب مباشر أو غير مباشر ، أو العكس حين تساعد وسائل الاتصال هذه على ترسيخ ايديولوجية المجتمع وفلسفته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها ثم تأتى الأسرة خاصة اذا كانت أمية ، او أنها محافظة تقدس الماضى وتأبى التغيير أو ان يكون بداخلها صراعا بين الأجيال الثقافية ، أو أن تكون الأسرة بطبيعتها مفككة بنائيا ووظيفيا فى جميع هذه الاحوال لا تستقر الأسرة بعد على فلسفة محددة تقيم المجتمع وتراثه يمكن ان تعطيها لأعضائها وفى ذات الوقت فانها تهدم الدور الهام الذى تبرزه وسائل الاتصال بهذا الشأن ٠

وكثيرا ما نلمس التناقض الواضح بين الوظيفة المعاصر للأسرة والدور الذى يؤديه المجتمع ، بمعنى أن الأسرة الحديثة وقد تقلصت وظيفتها وانتقلت الى مؤسسات اجتماعية أخرى فيما عدا الوظائف الأساسية التقليدية وبحيث يمكن القول أنها لم تعد الأداة الاجتماعية الضابطة كسابق عهدها فى عصور خلت من التاريخ وأصبح اعضاؤها يتمتعون بشىء من الحرية الفردية الى حد أنها تنقلب الى الضد بحيث يصبح الأعضاء أكثر ميلا وانتماء الى تنظيمات اجتماعية خارجية أكثر من احترامهم لتقاليد الأسرة وتعليماتها الضابطة ٠ تلك الحقائق الواضحة ينبغى أن يعالجها النظام التربوى فى المجتمع بأسلوب أو بآخر خاصة وأن الأسرة هى الوحدة الاجتماعية الأساسية التى يتكون منها المجتمع اذن فمن الضرورى أن يكون هناك معيارا أساسيا يعالج مشكلات الأسرة المعاصرة بحيث تصبح جهازا تتبلور فيه أهداف النظام التربوى ٠

ومن بين الدعائم الأساسية التى يرتكز عليها التنظيم الاجتماعى الدين، اذ يعتبر هذا العنصر نظاما اجتماعيا له أثره فى حياة الفرد والمجتمع ويضعه دوركايم على قمة النظم الاجتماعية تأثيرا فى النشاط الاجتماعى ٠ لقد كان الدين فى الماضى له قوته المؤثرة والضابطة لسلوك الفرد والجماعة بفعل

طقوسه وقواعده وما يزال للدين قدسيته فى نفوس الأفراد ويمثل أداة اجتماعية ضابطة على سلوكهم برغم ما يسود عالم اليوم من مشكلات ذات طبيعة اخلاقية وبرغم ابتعاد البعض عن جوهر الدين ورسالته ٠

وليس من شك فى ان القواعد الدينية تعكس المثل العليا لقيم الجماعة وأعرافها وتعمل على تنظيم علاقات الجماعة مع غيرها بحيث تخلق مناخا مستقرا وتدفع بالتنظيم الاجتماعى الى الثبات والاستقرار لخدمة أهداف المجتمع ، وهذا يدل على احترام الفرد للطقوس الدينية ومن ثم محافظته على سلامة البنيان الاجتماعى انما ينبع هذا الاحترام من وازع روحى وايمان يقيم الدين ورسالته فى الحياة ، ومعنى ذلك أن قوة القانون الالهى تفوق بكثير قوة القانون الوضعى ، فقد يتسنى للمنحرف الهرب من وجه العدالة الأوضعية لكن احساسه بالثواب والجزاء فى الآخرة يدفعه دائما الى ترك المعاصى ، وبذلك تتأكد القيم والمشاعر الدينية فى النفوس وتعمل بالتالى على تأكيد روابط الصلة بين الجميع (١) ٠

وليس من شك فى أن الدين بهذا التصور وظيفة اجتماعية لها خطرها وجلالها فى النفوس ، ومن هنا يمكن القول أن الدين انما جاء لسعادة الانسان فى الحياة الدنيا وفى الآخرة أيضا ، جاء لسعادة الانسان اذا اتبع تعاليمه ونواهيه وبالتالى يعيش سعيدا فى حياته الاجتماعية ومن ثم تسعد حياة المجتمع ككل ٠ لذلك نقرر أن الدين أحد الدعائم الجوهرية فى دفع التنظيم الاجتماعى الى التقدم ٠

واذا كان الدين يمثل اداة اجتماعية ضابطة وله اثرة الروحى فى النفوس ، فان تشعب الحياة المعاصرة وتعقد العلاقات الاجتماعية تعطى للقاعدة القانونية أهمية كبيرة ، اذ لا يمكن أن نتصور قيام أى جهاز أو مؤسسة دون أن تحدد لنفسها تشريعا أو لائحة تحوى عنصرى الثواب والعقاب ـ وفى نفس الوقت تحدد ادوار الفاعلين فيها ومسؤلياته تجاه بعضهم البعض وتجاه المجتمع بعامة ، القانون اذن مطلب ضرورى لتنظيم العلاقات وحماية الحقوق واقرار العدالة ومن هذا يصبح أداة اجتماعية ضابطة لها الصفة

---

(١) د ٠ مصطفى الخشاب : مرجع سابق ص ٢٤٤ ٠

الرسمية بمعنى أنها تستعين فى أداء وظيفتها الاجتماعية بأجهزة مختلفة تنفذ ما تأمر به التشريعات القانونية من أحكام ٠

ويجدر الاشارة الى أن القانون انما هو ترجمة أمينة لتقاليد الجماعة وقيمها وأهدافها فلا يمثل سيفا مسلطا على رقاب الأفراد والجماعات ، وانما القانون ترجمة سليمة للسلوك السوى فى المجتمع وفى نفس الوقت فليس هناك مانعا من أن يقتص من المخنب بشتى الوسائل حتى يثوب الى رشده ويشعر بالخطيئة ومن ثم يعود الى حظيرة المجتمع مرة أخرى ٠

والقانون هو مظهر من مظاهر التقدم الاجتماعى فى الأمم المتناهضة يحتكم اليه الجميع وينفذ الحكم دون مراعاة لشعور أحد أو سلطان الغير ، وانما يهدف الى الموضوعية فى الأحكام ومن هنا تتحقق العدالة ويسود الأمن والطمأنينة ارجاء المجتمع ٠

ورغم أهمية وضرورة القاعدة القانونية كأداة اجتماعية ضابطة للسلوك الفردى والجماعى ، فان للسنن الاجتماعية من عادات وعرف وتقاليد سلطان لا يقهر فى نفوس الناس فى المجتمعات المعزولة أو المجتمعات القروية ، اذ قد يستطيع المجلس العرفى الذى يضم كبار السن وشيوخ القرية علاج مشكلة خطيرة قد يحار القانون فى معرفة الجانى أو فى القصاص للمظلوم ، لهذا فقد عرفت العادات والتقاليد بأنها القانون غير المكتوب نظرا لسطوتها وسلطانها ورهبتها فى النفوس ٠

الا انه مع التغير الاجتماعى الذى أصاب كافة المجتمعات وما زال يزحف الى الجماعات المنعزلة ، مع هذا التغير بدأت تضعف شوكة هذه السنن تدريجيا وان كان ما تزال خبيئة الصدور وتظهر الى الوجود حين تسنح لها الفرص ٠

ومع كل هذا فليس هناك صراع بين القاعدة القانونية وبين السنن الاجتماعية فقد سبق لنا أن قلنا ان القانون هو الترجمة الحقيقية لما يسود المجتمع عن أعراف وتقاليد أو بمعنى آخر تقنين هذه العادات فى صيغة قانونية تحدد عنصر الثواب وعنصر الجزاء ويحتكم اليها الجميع دون استثناء ، وما لم يكن القانون مترجما حقيقيا لقيم المجتمع فلن يكون له أثره القوى فى النفوس ٠

ونقودنا هذه الفكرة الى الاجابة على تساؤل محدد وهو هل يمكن استخدام القانون فى تنفيذ علاج اجتماعى ذو طبيعة اخلاقية مثل الحد من زيادة النسل ، أو فرض السلوك الدينى على الأفراد بقوة القانون أو ... الخ ؟

ان الاجابة على هذا التساؤل تاتى بالرفض على طول الخط لأن مثل هذا العلاج الاجتماعى مثل تنظيم النسل أو زيادة تاثير الوعى الدينى فى النفوس بقوة القانون او ما شابه ذلك من أمور ، لا يمكن بحال أن تفرض فرضا لانها مسائل تتعلق بمشاعر الأفراد والجماعات فضلا عن ضرورة اقتناعهم أولا بجدوى هذا العلاج وما لم يتم ذلك فلا فائدة من جزاءات القاعدة القانونية .

خلاصة كل ذلك أن القانون أداة اجتماعية ضابطة ضرورية لقيام أى تنظيم اجتماعى بدور واضح وملموس ومؤثر ، وبذلك يمكن القول أن القانون يمثل احد الدعائم الهامة للتنظيم لأنه ينظم علاقة أعضاء التنظيم الاجتماعى ويحدد المسئوليات ويرتب أدوارا لكل عضو ، وفوق ذلك يحمل كل عضو بالمسئولية المنوطة به فاذا قام بتنفيذها على خير وجه أثابه والا أوقع عليه العقاب وبذلك ينتظم أمر التنظيم .

من كل ما تقدم يبدو التنظيم الاجتماعى فى صورة جهود مبذولة من جانب الأعضاء فى اطار نسق اجتماعى معين ، وأن للتنظيم اهدافا يعمل الجميع على تحقيقها لأن الهدف من ورائها تحقيق السعادة والخير للمجتمع .

والتنظيم الاجتماعى ضرورة فى مجتمعنا المعاصر نظرا لتعقد أساليب الحياة وتشابك العلاقات على خلاف ما قد ساد المجتمعات القديمة ونظرا لخطورة التنظيم فقد تفرغ لدراسة أصوله علماء الاجتماع وغيرهم يوضحون فلسفة قيامه وكيفية قيامه بوظائفه وأساليب تاثير حركة التغير الاجتماعى فيه فى اطار البناء الاجتماعى وفق مبدأ التخصص وتقسيم العمل الذى يدعم أهدافه ويحقق مرامية القريبة والبعيدة .

كذلك فان التنظيم الاجتماعى لا يمكن أن يستمر فى أداء دوره كاملا

دون أن يستند الى دعائم راسخة تقوم سلوك أعضائه وتبعث فيهم القدرة على تحقيق أهدافه ، من بين ـ هذه الدعائم قيام نظام تربوى سليم يضم أجهـــزة ومؤسسات تحقق أغراضه مثل الأسرة والمدرسة والنادى ... الخ فضلا عن تأثير العامل الروحى متمثلا فى الدين فى نفوس ومشاعر الأعضاء ، الى جانب قـوة القانون الوضعي الذى يمثل حقيقة تنظيمية لعلاقات الأعضـاء وادوارهم .

obeikandl.com

(خامســا) الثقافة Culture

يهتم علماء الاجتماع بدراسة ثقافة المجتمع باعتبار أنها جـزء من تراثه الذى يتناقله الآباء والأجداد ليورثوه للأبناء ويمثل بالتالى طابع الشخصية القومية ، ومن ناحيـة أخرى فان دراسة الثقافة تتداخل وتتفاعل مع كـافـة المتغيرات والعمليات الاجتماعية الأخرى ، الأمر الذى يوليه الباحثون اهتماما خاصـا ٠

تعريف الثقافـة :

الثقافة فى الفهم الأنثروبولوجى لها مفهوم خـاص لأنها من المفاهيم المحورية الداخلية فى نطاق علم الأنثروبولوجيا ، ان الثقافة هى المظهر الفريد للانسان وهى التى تميزه عن غيره من الحيوانات ، ان الخطوة الأولى فى فهم الانسان هى أن نوافق بادىء ذى بدء على اعتباره حيوانا فله خصائص يشترك فيها مع الحيوانات الأخرى ، وقد يجد المحقق تشابها فى بعض سلوك الحيوان والانسان فحاجاتهما البيولوجية تكاد تتشابه غير أن سـلوك الحيوان غريزى وله أدوار بسيطة فى حياته ، وان سلوكنا كبشر هو انتاج عمليـة تعليمية معقدة ، وهـذا أمر هام للوقوف على المشكلات الانسانية المباشرة للانسان فاذا كانت كانت أفعاله تتحكم فيها الغريزة والوراثة لذلك نجـده ليس لديه عظيم أمل فى أن يحقق تغيرا هادفا فى أنماط سلوكه ، بل اننا نلاحظ أنه يتكيف فى سهولة مع حاجاته البيولوجية ، وليس معنى هذا أن الانسان نشأ نتيجة التطور البيولوجى ، نعم قد يخضع للانتخاب الطبيعى والوراثة كأى نوع آخر من الكائنات منذ القدم لكن لدى الانسان من القدرات العقلية التى ساعدت على تطور ثقافته ولغته ٠

ونستطيع القول ان هذا الحيوان الجديد كان يميل الى تكييف سلوكه مع الأشياء المحيطة به بصورة أكثر تعقلا من الحيوانات الأخرى خاصة فيما يتعلق بالتكيف البيولوجى ، ان الطيـور لديها أجنحة للطيران ليس لـدى

الانسان مثلها ، ومع هذا تمكن من الطيران غير مستخدم فى ذلك يديه كالطائرة. كما استطاع الانسان أن يجر وأن يقود السيارة والجواد ، هذا التكيف الانسانى مع هذه الأشياء هو أساس الثقافة الانسانية ٠

وتلعب اللغة دورا هاما فى ثقافة الانسان ولديه التجربة والخبرة بالأحداث انه يستطيع أن يضع معانى للأشياء وأن يخلق تنظيما نسقيا للأحداث والمعانى أسماء اللغة ، وفى مقدرة الانسان وضع رموز لغوية تجعل من السهل تعليم الآخرين نتائج الخبرات السابقة كما تساعدنا هذه الرموز على اختزان المعرفة وتناقلها من أجيال سلفت ، وتمكن ايضا الانسان من تكوين جماعات متعددة الأغراض بعضها كبير ، الحجم ، لكنها مع ذلك تشترك فى رموز محددة للتعارف أو التعاون المتبادل ٠

نستطيع اذن القول ان الثقافة نسق من الرموز المشتركة بين الجماعات الانسانية وتنتقل منها الى الأجيال القادمة ، انه يمكن التعبير عن الثقافة الانسانية بمفاهيم عامة ، يمكن التعبير عنها عبر قنوات اتصال عن طريق أفراد أو جماعات متباينة وفى أوقات مختلفة وفى أماكن متمايزة ، وأن الكلمة الفاصلة فى التعريف أنها نسق يجعل من الجماعة الانسانية ليس كما عشوائيا من العادات والأنشطة بل نسيجا متفاعلا ديناميا ، كذلك فان من سمات الثقافة امتلاكها من المعارف المتداخلة والمعتمدة على بعضها البعض ٠

وبطبيعة الحال فان الثقافة يمكن أن يعتريها التغير ، فيما نسميه التغير الثقافى وسوف نشير فى فقرة ـ هذا التغير على جانب كبير من الأهمية . وقد ينتج عن هذا التغير ظهور مواقف غير متكيفة مع المناخ السائد فى البيئة الثقافية بما يؤكد ظهور بوادر المعارضة لكافة المظاهر الثقافية الوافدة من الخارج ٠

ان الثقافة انسانية الطابع بمعنى أنها تمس عاداتنا وتقاليدنا ومعتقداتنا فضلا عن نماذج تنظيمنا المادى المشاهد اليوم فى المجتمع الصناعى ، فضلا عن تواجد العنصر الثقافى فى شئون حياتنا ككل ، فى السياسة والزواج وفى معاملة الأطفال وفى التنظيمات العسكرية وفرق الرياضة ٠٠٠ الخ ٠

ويشير بعض الأنثروبولوجين الى المفهوم الثقافى من منظور سلوكى ،

كما أن السير ادواردب تايلور Tylor يعتبر الثقافة (أو المدنية)ذات مدلول واسع اثنوجرافيا بانها ذلك الكل المعقد الذى يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وأى قدرات أخرى مكتسبة بواسطة الانسان فى المجتمع ، هذا التعريف يركز على الاعتماد المتداخلى بين أجزاء السلوك الانسانى وأنواعه وهو تعريف يمثل الاتجاه الانثروبولوجى ٠

ويبحث الأنثروبولوجيون المحدثون عن تعريف ثقافى أقرب الى البحث والدراسة ، وقد طوروا تعريفا يعتمد على الفرض القائل بأن سلوكنا الذى نتعلمه هو فى نهاية التحليل نتاجا لكيفية تفكيرنا حول الأشياء ، وهم يبحثون عن الثقافة فى مصطلح نماذج ادراكية ، وبمعنى آخر اننا ننظر الى الثقافة كخريطة عقلية تساعدنا على خلق علاقات سوية مع الغير من بنى البشر بل حتى مع الأشياء المحيطة بنا ، تلك الخريطة العقلية اذن هى قسمة مشتركة لعدد كثير أو قليل من التفاعلات الانسانية بين الأفراد ، وحين نلاحظ جماعة تستخدم خريطة عقلية مغايرة فاننا يمكن القول اذن أن هناك تداخلا ثقافيا بين الثقافة الهامشية والثقافة العامة ٠

ان السلوك الثقافى بطبيعة الحال سلوك انسانى بمعنى أنه نتاج الكائنات الانسانية التى تعمل فى جماعات وأن المشاركة فى انماط السلوك عمل جماعى ، بل ان السلوك الانسانى يمكن تفسيره من جانب الاقتصادى والطبيب ولكن هناك قضية عامة وهى أن الانسان حيوان اجتماعى بمعنى أنه يستطيع أن ينظم الجماعات وهذه لها سلوكها العام ، وبالتالى فلا يمكن القول أننا نرث سلوكنا الاجتماعى (١) ٠

ان أبرز ما يشير الى التعريف السابق للثقافة اعتبارها قسمة مشتركة بين الكائنات الانسانية يتناقلها الأبناء عن الآباء والأجداد ، وهى خاصة انسانية لانه لا يمكن بحال أن يكون لعالم الحيوان ثقافة مثل تلك التى يتمتع بها الانسان ٠

---

(١) James F. Downs : Cultures in crises, glencoe press collier macmillan Ltd. London, 1971 p. 29.

وهناك تعريف للثقافة يشير اليه العلامة تايلور Tylor حين يرى أن انعكاسات آراء الانثروبولوجيين والاجتماعيين عن الكائنات تبدو فى التساؤل حول اختلاف الانسان عن غيره من الكائنات الأخرى ، وربما كانت الاجابة على ذلك أن الانسان هو حامل الثقـــافة ، وقد احتضن الانثربولوجى الأمريكى كروبر croaber فى مقاله الشـهير « فوق العضـوى » Super organic عام ١٩١٧ احتضن فكرة تايلور عن تعريف الثقافة السابق الاشارة اليـه وانتقد بشدة افكار البيولوجية التى ترجع السلوك الانسانى الى الميكانيزمان البيولوجية لكننا نجد هناك معارضين لوجهة نظر تايلور عن الثقافة فى أمريكا، فنجد العلامة مورجان Morgan ١٨١٨ ـ ١٨٨١ يتقدم بآراء مشابهة لآراء تايلور لكنها تختلف عن آراء علماء الاجتماع الفرنسيين أمثـــال دوركايم ١٨٥٨ ـ ١٩١٧ الذى استخدم كلمة مجتمع فى مقابل كلمة ثقافة ٠

وفى القرن العشرين فان الأنثروبولوجيين الثقافيين أمثال مالينوفسكى Malinowski ١٨٨٤ ـ ١٩٤٢ وهوايت White قد ركزوا على الأسس اللغوية فى مقدرة الانسان على تطوير ثقافته ، بينما الثقافة فى تعريف كلى وكلاكهون Kelly & Kluckhonn تعنى أنها نســـــق تاريخـــى لنمط معيشى ، وأنها قسمة مشتركة بين الكل أو على وجه الخصوص بين الأعضاء المخططين فى الجماعة فى وقت ما (١) ٠

ويرى اوجبرن ogburn فى تفسيره لمفهوم الثقافـة والشخصية أن كل طفل يتلقى منذ نعومة أظافره قدرا من التراث الثقافى بحيث تميل علاقته مع الغير الى الدينامية وان كانت علاقته يسودها طابع الخضوع لأحكام البيئة ، ويحاول جون ديوى أن يعطى رمزا للموقف بملاحظة أن الثقافة فى مجالها الواسع تؤثر وتتأثر بالتالى عن طريق الفرد ، ويبدو هذا التأثير الثقافى على شخصية الانسان فى معارفنا ، فهناك التأثير الفردى لسمات الثقافة غير المادية، ولكن الثقافات كل معقد ، ونحن نشعر بالرضا عند البحث عن أثر انطباعات الثقافة على الشخصية والثقافات المختلفة غالبا ما تنتج انماطا من الشخصيات

---

(١) Lewis A Coser & Bernard Rosenberg : Sociological Theory second Edition, collier Macmillan, New York 1967 p. 18.

مختلفة ، فنحن نرى فى سمات ثقافة معينة سيادة روح المنافسة وفى ثقافة اخرى تبدو روح التعاون ، وان مدى التباين فى سمات الشخصية ربما يكون كبيرا فى نفس الوقت فى مختلف المجتمعات ويتعلق بسمات الشخصية قدرة الارادة النفسية على التكيف مع الواقع ـ وسنشير تفصيلا لذلك فيما بعد • ويمكننا أن نشعر بالتباين فى سمات الشخصية من خلال الأنماط الثقافية اذا ماعلمنا أن تباين الافراد ذاتهم بيولوجيا وحتى فى علاقاتهم الشخصية كذلك هم مختلفون فى تجاربهم الثقافية من حيث مراحل العمر وتباين الأجناس ، الامر الذى يمكن معه تصنيف الأفـراد بحسب ما اكتسبوه من ثقافات الى قوالب متعددة • كذلك يلعب الدور الاجتماعى والمهنة والتربية والدخل والأسرة دورا هاما فى تاكيد مظاهر الثقافة فضلا عن اكساب الفرد طابعا شخصيا معينا متباينا مع غـيره ، فهنـــاك الانسان العدوانى وهناك الانسان الوديع وهلم جرا ، وتستطيع البيئة الاجتماعية أن تخلق كائنا ثقافيـا ماهرا له علاقاته وتفاعله مع الآخرين (١) •

وزيادة فى تاصيل المفهوم الثقافى فان كوبر John F. Cuber يعطى تحليلا علميا لمفهوم الثقافة من منظور تاريخى حين يبرز تصوره للتصور الانسانى ابتداء من فجر التاريخ حتى عصر الذرة ويرى اننا مع ذلك لا نلم بكافة جوانب أصول المفهوم الثقافى بسبب الجذور التاريخية العميقة له ، وقد يسوغ للبعض أن يتحدث عن الثقافة فى اطار عصر الذرة متعللا بقدرته على فهم قوى التغيير فى هذا العصر ولم يحاول هذا البعض بذل اى محاولة لمتابعـــة أحداث التاريخ الانسانى كما يفعل علماء التاريخ •

ويركز كوبر فى تحليله للثقافة على تأثير عمليـــات التغير الاجتماعى المستمدة من استقراء كثير من الثقافات المتباينة ، ويلخص تفسيره للثقافة فى الأسس التاليـــة :

١ ـ يشغل تطور ثقافة الانسان اغلب فترات عمره •

---

(١) Ogburn : A Handbook of sociology p. 209.

٣ ـ يبدو التغير الاجتماعى للثقافة بطيئا خلال الأزمنة الغابرة على عكس ما هو مشاهد فى الوقت المعاصر من تغير سريع ٠

٣ ـ ان كثيرا من الخصائص الأساسية للمجتمع الحديث مثل الديموقراطية والعلم وارتفاع مستوى المعيشة ترجع الى خبرات الانسان التى ساعدته على معرفة ماذا يفعل خلال حياته ٠

٤ ـ التغير الثقافى أمر محتم ، بل أن الثقافة تحوى بذور هذا التغير ٠

٥ ـ ان العوامل التى تؤدى الى سرعة الثقافة ، وتلك التى تعمل على ثباتها ، كلها ظواهر ثقافية بديهية ٠

٦ ـ تتباين المجتمعات فى درجة تغيرها الثقافى ، فهناك مجتمعات سريعة التغير وعلى العكس هناك مجتمعات بطيئة التغير أو قد يكون التغير سريعا ثم يميل الى البطىء بتاثير عوامل مختلفة ٠

٧ ـ ان عناصر ثقافية عديدة يمكن أن تقوم داخل الثقافة أو قد تفد اليها عن طريق بعض الثقافات الأخرى بواسطة عامل الانتشار ٠

٨ ـ الاختراع ضرورة حتمية تستلزم استخدام العناصر الثقافية الواقعة وعلى ذلك فان الأساس الثقافى ضرورة ، بل أنه فى بعض الأحيان يمكن أن نطلق على الاختراعات المستحدثة لفظ التقاليع أو الموضة ٠

٩ ـ تاثرت كثير من المجتمعات بالتغير عن طريق الانتشار الثقافى ٠

١٠ ـ يمكن أن يساعد كثير من عوامل الاختراع على احداث التكيف البطىء فى أنماط الثقافة فى الوقت الذى قد يتسبب فيه عامل الاختراع لحدوث كثير من مظاهر الرفض والمقاومة ٠

١١ ـ ان هناك علاقة بين حدوث التغير فى أجزاء الثقافة بتاثير عامل الاختراع وبين بطىء التغير فى أجزاء أخرى قد تقاوم الاختراع كسبب فى التغيير ٠

١٢ ـ ان هناك عوامل تؤثر فى تكامل طرق التفكير الثقافى ، فالقيم الاجتماعية السائدة قد تطور مصطلحات المفهوم ، فضلا عن أن مستويات الأجزاء الثقافية قد تحمل فى جذورها أصول الاختراع ٠

ويشير كوبر فى نهاية تحليله للمفهوم الثقافى الى دور الاختراع فى أحداث التغير الثقافى ويعدد عناصر مختلفة للثقافة المادية كالمبانى • الراديو النار • الصناعة • الطباعة ••• وعناصر أخرى للثقافات اللامادية مثل الديموقراطية• القانون • التربية (١) •

وهكذا يشير كوبر الى المفهوم الثقافى من منظور تاريخى ، وعوامل التغيير المتباينة وهى فى مجملها تعطى انطباعا عاما لمفهوم الثقافة ، ويمكن القول بناء على كافة التفسيرات السابقة أن ثقافة أى مجتمع هى تعبير عن مستوى ما وصل اليه الانسان من تقدم أو تخلف فى حياته الاجتماعية والاقتصادية ، المادية منهما والروحية وعلى هذا فالمفهوم الثقافى لا يقتصر على عصر من العصور وانما هو مستوى عام لحياة الانسان عبر التاريخ •

العلاقة بين الثقافة والمدنية :

تجدر الاشارة الى أنه يحدث خلط بين مفهوم الثقافة Culture ومفهوم المدنية Civilization لذلك رأينا أن نوضح الفروق الأساسية بين المفهومين فى هذه الفقرة ، يشير كانت الى أن الفكرة الاخلاقية ضرورية لمفهوم الثقافة ذلك لأن الأخلاق حالة داخلية على خلاف المدنية التى تعبر عن حالة خارجية للسلوك ، ومنذ عهد كانت تعددت البحوث التى تناولت هذا الموضوع ، نجد ارنولد يعرف الثقافة مثلا بأنها دراسة الكمال perfection انها البحث عن سعادة الانسان وهدايته قوامها العطاء لبنى البشر بما ينفعهم فى حياتهم الاجتماعية وهو يتفق مع « كانت » فى أن الثقافة حالة داخلية تتعلق بالعقل والروح ، بينما تتميز المدنية بالآلية وصفة الخارجية •

والتعريفات السابقة ولو أنها يغلب عليها الطابع الفلسفى الا أنها تميز بين الثقافة والمدنية فى ان الأولى ذات صفة معنوية بينما الثانية يغلب عليها الطابع المادى وان كان هذا التفسير يناقض ما جاء به أوجبرن حين قسم الثقافة الى جزءين مادى ولا مادى بمعنى أن هناك تفاعلا بين شطرى الثقافة فى مفهوم أوجبرن •

---

(١) John F. Cuber : Sociology, London 1964 p. 90.

وبشكل أكثر طموحا ويقترب من فلسفة التاريخ يستخدم شبنجلر نفس التفرقة السابقة عند كانت انه ينظر الى المدنية كمظهر تحليلى للثقافة ، انه المظهر الذى تفقد فيه الثقافة حيويتها الخلاقة وتصبح آلية وتقليدية ٠

ويفسر العلامة ماكيفر التمييز بين الثقافة والمدنية كشكل واحد للتناقض بين الوسائل والغايات ٠ ان ثقافتنا تبدو فى التساؤل ماذا تكون ؟ بينما المدنية هى ماذا نستخدم ؟ أن المدنية تشير الى الروح الآلية أو مستوى الأجهزة التى يستخدمها الانسان فى محاولاته لسعادته المادية وخلق تنظيم مناسب لمدنيته ، بينما تختص الثقافة بالقيم السائدة ، انها انطباع تفكيرنا على مستوى المعيشة الذى نحيـــاه وتعاملنا اليومى من الفن والأدب والدين واعادة الخلق والابتكار والسعادة ٠

ان تمييز ماكيفر يقوم على التشابه مع اتجاه « الفرد فيبر » الذى يرى أنه من الضرورى للتمييز بين الثقافة والمدنية توفر ثلاث عمليات : المجتمع٠ المدنية ٠ الثقافة ٠ تلك العمليات انما هى نتيجة نمطية للبناءات الاجتماعية، وهى تتبع نظاما معروفا فى العلاقة فيما بينها ٠ اننا نلاحظ مع كل يوم يمر تحولا من جانب الأفراد والجماعات وانتقالهم من تنظيم لآخر ٠ لقد كانوا فى الماضى يعيشون فى اطار تجمع قرابى يتميز بعلاقات الوجه للوجه ، ومع مرور الوقت أصبحوا يعيشون فى اطار تجمعات اقليمية بتأثير عامل المدنية، وفوق ذلك فلقد اتجه تفكيره الى البحث عن أرضية المعرفة والأسلوب الفنى فى التعامل اليومى وابتعد فى ذات الوقت عن البحث فيما هو فوق الطبيعة ٠

ان هذا التحول لم يجىء عشوائيا وانما يتم فى تداخل بين القـــديم والجديد ويتبع نظاما صارما تسير فى فلكه حياة الجماعة ويتناقله الأفراد من سلفهم ويصدق على كل الانسانية لا على اقليم بعينه ٠ ولعل الفرد فيبر يشير بذلك الى مفهوم المدنية باعتبارها تنقل الانســان من حـالة ماديـــة الى أخـــرى ٠

والثقافة من جانب آخر تحدث فى خط مستقيم قوامه التبادل والتداخل والتفاعل مع كافة الظواهر الملاحظة فى المجتمع ويكون لها بالتـــالى ســـمة الاستمرارية والقدسية طوال فترة معينة من التاريخ على عكس المدنية التى

تتغير بين لحظة وأخرى وفوق ذلك فان للثقافة خصوصيات بمعنى ان الخاصية الثقافية لمجتمع معين تعبر عن مقومات حياته ومستوى معيشته فـــد لاتكون هكذا فى مجتمع آخر ٠

ويعتقد شبنجلر فى ترابط أجـزاء المدنية واهتمام الافراد والجمـــاعات بخصائصها على عكس ما يبدو فى المفهوم الثقـافى من حدوث التباين بين الجماعات حول جزئياتها وقد يؤدى ذلك الى عدم تجانسهم حـــول فـكرة موحدة ٠ وهذا المعنى يشير الى ما سبق قوله من سرعة التغير فى الثقافة المادية نظرا لنتائجها المحسوسة وبطئه فى الجانب المعنوى لأن التغير فى هذه الحالة يصيب قيم الناس وعاداتهم ٠

ومن هذا المنطلق فان الفرد أو الجماعة يسعى دائما نحو التمييز بين الوسائل والغايات ، أو أن نبحث عن القيم التى تحقق دائما غايتنا . ومن هنا كان ميل الانسان باستمرار نحـــو العلم الذى يفيـد نشاطاتنا الاجتماعيـــة ويوجهنا نحو الاستفادة من مخترعاته ، واذا كان العلم هو الطريق الى المدنية فكم منا على سبيل المثال ينظر اليه على أنه وسائل وكم منا ينظر اليه على أنه غايات ، وان تنظيماتنا الاقتصادية لا تهتم فحسب بوســـائل تحقيق الهدف منها ولكن أيضا تسعى للوصول الى الفرص المتـــاحة التى تمـــد بالنشـــاط العملى ٠

وفى اتجاهنا نحو الاستمرار فى نظام محدد للتنمية والتطوير ، مع أن هذا له صيغة مادية ، فانه فى هذه الحالة ينبغى أن يكون واضحا أن هنـــاك اختلافا بين النمو المعرفى ، والفنى والانجازات الأخرى للعقل الانسانى بمعنى آخر فان التنمية لا تشمل فقط على الجانب المـادى (المدنيـــة) المتمثل فى الوسائل والانجازات الاقتصادية وغيرها بل ايضا يضم الجانب المعرفى الذى يشتمل على قدرة الانسان على التفكير فى اطار القيم السائدة فى مجتمعه ٠

ان التطوير المستمر قد لايكون فى المدنية فحسب ، وانما قـد نجـده فى الحركات الدينية التى ظهرت فى التاريخ وهى اذا استعرنا تفسير كانت وغيره تعد مظهرا من مظاهر الثقافة ، أقول ان تلك الحركات الدينية قد تطورت ولو بشكل نسبى ٠ ذلك أن الدين ظاهرة اجتماعية ويقف مع التجربة الانسانية وينمى فى الانسان الاتجاه الى أعلى ومن هنا فان من شان هذه الحركات أن

تثرى المحتوى المعرفى عن الانسان وتجعله اكثر احتراما للنظام واشد رغبة فى تطويره بما يناسب الوضعية السائدة ٠

ربما يوجد اختلاف بين الفكر الأخلاقى والتطبيق والفن ولكن عامل الانتشار ينبغى أن يكون له اعتباره فى هذا المجال ذلك أن الانتاج الفنى ينتشر بسرعة بين واحد من الناس الى آخر بينما الجانب المعرفى القيمى يستقر ويبقى أطول فترة ممكنة ٠

ويبدو التباين بين الثقافة والمدنية فى الدرجة وفى حالة الانتشار بمعنى أن الديمقراطية مثلا وهى مظهر ثقافى لا يمكن بحال أن تتوفر فى جميع أشكال الحكومات القائمة اذ نجد بعض الحكومات ينزع الى الدكتاتورية بمعنى أكثر وضوحا أن الاتفاق على مظهر ثقافى معين له السمة المعنوية أو الروحية كلما يحدث فى سهولة ويسر ويأخذ طابع العمومية والانتشار ، ويؤكد ذلك ويدعمه ذلك التباين حول الاتجاهات القيمية فى المجتمع بحيث يمكن القول انه ليس هناك نظرة متوازنة عند الجميع تجاه قيمة معينة أو تجـــاه أهمية التطور الاجتماعى لعلاج مشكلات المجتمع (١) ٠

وبناءعلى ما تقدم يمكن القول أن هناك تباينا بين مضمون الثقافة والمدنية ولكن ينبغى الا نفصل فصلا قاطعا بين محتوى المفهومين ، بل ان هناك تداخلا فى الأنشطة الثقافية والمدنية نتيجة احتكاك العناصر المختلفة وتفاعلها فى اطار المجتمع ويبدو هذا التفاعل فى مظاهر كثيرة ، هناك على سبيل المثال تطابقا بين ما يسلكه الفرد من أفعال وبين ما يعتقد فى اهميته من أفكار ذات طبيعة أخلاقية أو مدنية بمعنى أن الانسان يمثل البوتقة التى ينصهر فيها السلوك الثقافى أو المدنى ٠

ان كل ما يمكن قوله من خلال التفسيرات السابقة لمفهوم الثقافة والمدنية أن الأول (الثقافة) حالة داخلية أو ذات طبيعة معنوية ، بينما المدنية حالة خارجية أو تتسم بالصفة الآلية ، واذا جاز قبول وصف المدنية بهذه السمات، فان مسألة الفصل التعسفى بين المفهومين يكون مثار جدل ونقاش خاصـــة عند الأنثروبولوجين الذين يتبنون المفهوم الثقافى فى دراساتهم وتحليلاتهم ٠

---

(١) Moris ginsberg : Sociology, 1961 p. 44.

خصـــائص الثقافـــة :

من العرض السابق لمفهوم الثقافة يمكن أن نحدد مجموعة من الخصائص الأساسية لهذا المفهوم ويمكن أن نجملها على النحو التالى :

أولا : الثقافة تحصل بالاكتساب والتعليم : فهى ليست غريزية أو تنتقل بيولوجيا عبر الأجيال ، بل يكتسبها الفرد من المحيط الاجتماعى الذى يعيش فيه من خلال التراث الاجتماعى والثقافى ، واذا كان تحصيل الثقافة يتم بالتعليم فانها بالتالى ينبغى أن تخضع لقوانين التعليم ومن خلال عملية التنشئة الاجتماعية .

ثانيا : الثقافة اجتماعية الطابع : لانها تخص الانســـان وتعبر عن مستوى حياته الاجتماعية ، ولها قوة الضبط الاجتماعى على الأفراد الذين يتقاسمونها فهى شركة بينهم ، واذا كانت الثقـــافة اجتماعية الطابع فان مصيرها يرتبط بمصير المجتمع الذى يحتويها .

ثالثا : الثقافة لها صـــفة التصورية : ذلك أن عادات الجماعـــة التى تحتويها الثقافة توضع فى أنماط تصورية أو انماط سلوكية تعبر عن فلسفة الجماعة فى الحياة وان كان هذا لا يمنع من حدوث تباين فى هـــذه الأنمـــاط بحسب الظروف والمتغيرات السائدة والمؤثرة فى التنظيم الثقافى ، وفضلا عن ذلك فان هذه الأنماط التصويرية أو المثالية لها مرجعية تبدو فى سلوك الجماعة وعاداتها وأهدافها .

رابعا : للثقافة صفة اشباع وارضاء الحاجات والميـــول البيولوجيـــة والاجتماعية بل ولها قدرة توجيه هذه الميول من خلال ردود الأفعال التى تحدث من جانب الجماعة ازاء المفهوم الثقافى .

خامسا : للثقافة خاصية التكيف مع الظروف البيئية المختلفة من خلال عملية الاستعارة لثقافة مغايرة ، وبذلك تميـــل الثقافة لتصبح متكيفة مع المتطلبات المستحدثة البيولوجية والنفسية عند الكائن الانسانى .

سادسا : للثقافة سمة التكامل : ويحدث هذا التكامل نتيجة التكيف بين الأجزاء الثقافية والظروف الاجتماعية ، وقد سبق أن أوضح سمنر أن الفولكلور هو علم ثقافى تترابط أجزاؤه ، وان كان هذا لا يمنع من حـــدوث

عوارض مختلفة تؤدى الى الاخلال وعدم التوازن مثلما نادى أوجبرن فى نظرية التخلف الثقافى (١) ٠

معنى هذا أن خصائص الثقافة فى مجملها انما تتبع من المجتمع وتتأثر بكافة المتغيرات الاجتماعية التى تشكل النمط الثقافى السائد بل ان الثقافة هى الأخرى تؤثر فى انماط السلوك وتشكلها من خلال عملية التطبيع الاجتماعى أو بمعنى آخر للثقافة وظيفة اجتماعية ٠

وظيفة الثقافة :

ان الثقافة نسق ، كأى نسق آخر وتتركز وظيفتها فى علاج مشكلات الانسان سواء ما تعلق منها باسلوب الحصول على الطعام أو المأوى أو رعاية الشباب الشباب أو وسائل الاتصال أو وسائل الضبط الاجتماعى ، وفضلا عن ذلك فانها تضع نمط العلاقات الاجتماعية الذى يربط الجماعات فى اطار ثقافى معين ٠ انها تساعد الانسان على التكيف مع ظروف البيئة الاجتماعية أو الجغرافية وحل المشكلات التى تواجه الجنس البشرى ٠ ان علاج هذه المشكلات يمثل مادة الثقافة وفى اطاره تؤسس الأدوار المختلفة للأفراد والجماعات ٠

وغالبا ما يمثل ماضى المجتمع وتراثه الجذور الحقيقية لكافة ما يعانى منه المجتمع من مشكلات وعلى ذلك فان نظرة فاحصة فى محتويات الآداب الشعبية على سبيل المثال ربما يضىء الطريق أمام الباحث للوصول الى المتغيرات السالفة التى أثرت فى حدوث مشكلات بينها فى الماضى وتركت جذورها فى الحاضر (٢) ٠

ويشير الى الفهم السابق لوظيفة الثقافة العلامة الأنثروبولوجى مالينوفسكى حيث يرى أن الثقافة أداة يستطيع بها المرء التغلب على مشكلات

---

(١) Bell, Sirjamaki : Social Foundations of human Behavior 2 Edition, 1961 p. 37.

(٢) George Peter Murdock : Culture and Society U.S.A. 1965 p. 80.

البيئة ويرى أن أتباع المنهج الوظيفى عام فى الدراسات الحقلية لانه يساعد على تحليل الثقافة الى عدد من النظم (١) ٠

ويتفق مالينوفسكى مع رادكيف براون فى أن التحليل الوظيفى يبغى دراسة وشرح الجزء سواء كان سوسيولوجيا أم ثقافيا ومدى تكامله مع النسق الثقافى الكلى بهدف شرح الحقائق ـ الأنثروبولوجية على كل المستويات فى وظائفهـــا (٢) ٠

يمكن القول اذن أن الثقافة وهى تعبير عن مستوى ما وصل اليه مجتمع ما من تقدم أو تخلف تشير الى وظيفتها فى مدى حل المشكلات وبالتالى بتقدم المجتمع أو عجز ثقافة مجتمع ما عن عـلاج مشكلاته فيسود التخلف الثقافى ٠

التغـــير الثقـــافى :

ان ثقافة أى مجتمع قد تكون من النوع المتطور الديناميى بمعنى انهـا تكون فى حالة تغير مستمر ، أو قد تكون من النوع المقدس أى بطىء التغير ، وبالتالى تكون فرصة حدوث تغير ثقافى قد يفضى الى تقدم تاخر الحدوث ، ومن هنا كانت أهمية الحديث عن عملية التغير الثقافى ٠

لقد سبق أن أوضحنا أن الثقافة هى نتائج التعلم أكثر من كونها موروثة وفى نفس الوقت فان العوامل البيولوجية التى تؤثر فى عملية الوراثة قد تتأثر هى الأخرى بالتعليم أو أن تدخل فى تفاعل مستمر مع عمليات الاكتساب ٠

الثقافة قسمة مشتركة ـ كما سبق القول ـ بين اعضاء المجتمع ، وقد يصنف الأفراد وفقا لقوالب ثقافية درجوا عليها منذ الصغر ، ومع ذلك فانهم يدخلون كفاعلين فى علاقات مع طبقات أخرى أو وظائف مهنية لها ثقـــافات مغايرة لثقافتهم أو بمعنى آخر يحتكون ثقافيا بهذه الفئات بحسب طبيعـة الموقف الاجتماعى الذى تنشأ فيه الجماعة ٠ ان نتيجة هذا الاحتكاك الثقافى داخل مجتمع واحد يولد سلوكا ثقافيا مغايرا كما تطبع عليه الفرد من خـلال عملية التربية أو التنشئة الاجتماعية ٠

---

(١) د ٠ أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعى الجزء الأول (المفهومات) الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ ص ٦٥ ٠

(٢) Merton : Op. Cit. p. 74.

وفضلا عن ذلك فان من خـــلال وسائل الضبط الاجتماعى الرسمى أو التقليدى تتكون لدى الأفراد ثقافات تتمكن من التكيف مع ثقافات مغايرة وقد تبدو هذه الثقافات فى عادات ثقافية فى الفعل أو تبدو فى عادات تتعلق بالفكر وهذه قد تسمى عادات كلية ، تشتمل على كل مظهر ثقافى يبدو فى المشاعر أو الوسائل الفنية أو المعتقدات الدينية أو يظهر فى القواعد والمعايير التى تتصرف الجماعة وفقا لها • وفوق ذلك فان الأفكار العامة التى تشملها الثقافة قد تدفع الغير الى عنصر التوقع الاجتماعى لسلوك معين من جانب الآخـرين others أو الاستجابة لهذا الســلوك بصـرف النظر عن جانب الثواب أو العطـــاء الاجتماعى أو جانب الجزاء •

ان التغير فى السلوك الاجتماعى وبالتالى فى الثقافة يمثل اطارا مرجعيا لمعنى التغير الشامل فى حياة الجماعة • وتمثل الاختراعات الثقافية مؤشرات هامة فى انتاج التغير الثقافى وذلك فى ضوء متغيرات اجتماعية مختلفة مثـــل زيادة أو قلة عدد السكان أو التغيرات فى البيئة الطبيعية أو الهجرة الى بيئات جديدة أو الاحتكاك مع جماعات مغايرة ثقافيا لعادات المجتمع الأصلى •

ولقد سبق للأنثروبولوجين التاريخيين عموما مناقشة السمات الخاصة للثقافة التى تبدو من خلال استخدام الدخان والعجلة أو استخدام النقـــود والمعادن أو أى سمة أخرى ـ تنشأ نتيجة الانتشار فى أى جزء من المجتمـــع ومشكلتنا اذن هى كيف تتغير الثقافة وأول عامل فى هذا المجال هو الاختراع ، وهو لا ينشأ طفرة واحـدة وانما يتم خـــلال عمليات تعلم مختلفة أو أن ـ الاختراع فى مجتمع ما هو المظهر الأصل لنتائج عملية التعلم والتنشئة ، من ناحية والمشاركة المثمرة من جانب المخترع والجماعة السائدة •

والاختراع كمتغير يشتمل على اجراء التحول من السلوك العـادى فى موقف اجتماعى معين الى موقف آخر مع الارتباط بكل ما هو مبتكر فى المجتمع، ومع أن الاختراع قد يتجه بنا الى الناحية المادية الا ان له أيضا مظاهر غير مادية تبدو فى المفهوم الثقافى أو بمعنى أكثر توازنا فان الاختراع يمثـــل المحترى الخارجى للسلوك الثقافى •

وبطبيعة الحال فان أول خطوة فى عملية الاختراع هى التجربة وهى تتضمن معنى عدم التمسك بالماضى بالضـــرورة بل أن التجريب الثقافى من

شأنه أن يكسب الجماعة حالات من السلوك المفيد فى ايجاد حـــل لمشكلات المجتمع الذى يهدف الى تطوير ثقافته باستمرار فضلا عن احداث النمـــو المتوازن ـ لأجزاء الثقافة المتغيرة بقدر الامكان وفى هـــذه الحالة يتعين على الجماعة أن تتبنى مفهوما متطورا يتفاعل مع فكرها النظرى والتطبيقى وان يكون لونا من الوان المســـاعدة المتبادله بين الأطرف المختلفة حتى يمكن الوصول الى اختراعات مفيدة تؤثر فى تغير النمط الثقافى السائد (١) ٠

يعتبر عامل الاختراع اذن واحدا من عدة عوامل تؤدى الى احداث التغير الثقافى ٠ وزيادة فى الايضاح فان اجبرن Ogburn يربط بين الاختـــراع والقدرة العقلية والثقافية حين يرى أن الاختراع يتطلب قدرة عقلية ناضجـة وهذا يستتبع بالتالى التحسين المستمر فى تنمية هذه القدرة عن طريق الثقافة أو بمعنى آخر عن طريق عملية الاكتساب والتدريب بحيث يحصـل المخترع فى نهاية الأمر على مكانة ثقافية مكتسبة لأنه ساعد على انتاج ثقافى (لمفهوم أوجبرن حيث يرى أن الثقافة تشتمل على الجانب المـادى والمعنوى) جديد ٠ بل أنه يرى أن من أسباب التخلف : ندرة الاختراع وعدم القدرة على التكيف مع الثقافات المادية المستحدثة (٢) ٠

ومن هنا تبدو أهمية الاختراع كعامل جوهرى فى التغير الثقافى بصفة عامة : ومع ذلك فهناك أيضا عوامل أخرى تساعد على حدوث التغير ٠

ومن بين هذه العوامل ما يسمى بالاستعارة الثقافية Cultural Borrowing وقد تسمى أحيانا بعامل الانتشار Diffusion وفى هـــذه الحـالة لا يكون المخترع innovetor هو أصـــل العـادات الجديدة ، وانما تتم الاستعارة فى هذه الحالة من ثقافة مجتمعات مغايرة وربما تشمل الاستعارة الثقافية معنى التقليد Imitation للعناصر الثقافية الوافدة وتحتاج عملية التقليد فى هذه الحالة الى أسلوب معين فيتعلم الانسان من خلاله الجماعة كيف تقلد كل ما هو جديد ، وفضلا عن ذلك يتكيف فى سهولة وبدون صـــراع معـه ٠ وربما يكون عامل الاحتكاك الثقافى Cultural Contact احد الأركان العامة لاتمام عملية

---

(١) Murdock : Op. Cit. 1117.

(٢) Ogburn : Social Change, The viking press Inc. New York, 1955 pp. 8088.

الاعارة الثقافية ، اذ لا يمكن أن نتصور ارتباطا ما بين العزلة والاحتكاك الذى قد يكون بتاثير التبادل التجارى أو بفعل الارساليات التبشيرية أو تنفيذ مشروعات مختلفة فى مجتمعات أخرى ، أو قد يتم الاحتكاك عن طريق الغزو السياسى أو العسكرى ٠

وأؤكد مرة أخرى الى أن عملية التكيف الثقافى أو بمعنى آخر عملية الموافقة الاجتماعية على كل ما هو وافد من الخارج مطلب ضرورى لاتمام التغير الثقافى فى هدوء وهذه الموافقة هى قسمة مشتركة بين الأعضاء ، أنها تعبير عن التأقلم بالعادات الجديدة وتكامل القديم مع الجديد بحيث يصبح الناتج الثقافى تركة يتقاسمها الكل بدون هذا التكيف ، فان الصراع الثقافى هو البديل ، ومهما كانت نتيجة الصراع فان عناصر الرفض والمقاومة تظل كافية الى أن تسنح لها الفرصة للاطاحة بالعنصر الثقافى الجديد (١) ٠

يتضمن التغير الثقافى اذن تغيرات شتى سواء فى الجانب المادى المتمثل فى الوسائل التكنولوجية أو فى الجانب المعنوى المتعلق بالايديولوجيا والمعتقدات والقيم والأفكار وغيرها ، ونتساءل هل هناك من فروق بين التغير الثقافى والتغير الاجتماعى ، أنه فى حقيقة الأمر يؤثر التغير الأول بشدة فى معظم جوانب المجتمع ، ولكن نظرا لأن المجتمع هو الذى يتم فيه حدوث التغير الثقافى بما يمثل على تراث اجتماعى وثقافى ، وانماط من العادات والقيم والثقافات المتباينة ، فضلا عن أن عوامل نجاح التغير الثقافى أو عوامل جموده تتعلق بطبيعة المجتمع ومبلغ رضاء الارادة الكلية فيه عن التغيرات أو رفضها ومقاومتها فانه يمكن القول أن المجتمع يمثل الاطار المورفولوجى الذى يجسد ثقافة معينة ، كما أنه من المحتمل الا يؤثر التغير الثقافى بدرجة متوازنة فى جميع أجزاء البناء الاجتماعى ٠

بناء على ذلك فان هناك تداخلا فى الفهم بين لتغير الثقافى والتغير الاجتماعى ، بحيث يمكن القول أن التغير الثقافى يعتبر تغيرا اجتماعيا والعكس بسبب أن التغير على اختلاف أشكاله انما يتم داخل المجتمع (٢) ٠

---

(١) Murdock : Op. Cit. 119 — 157.

(٢) د ٠ مصطفى الخشاب : دراسة المجتمع ، مرجع سابق ص ١١٢ ٠

التغير الثقافى اذن له اهميـة خاصة حيث يتاثر بحدوثه كافة مقومات الحياة الاجتماعية والثقافية فى المجتمع وبالتالى يكون له من النتائج والآثار ما قد يدفع بالمجتمع الى حدوث تقدم اجتماعى اذا احسن استغلال التغيـر الذى حدث أو على العكس قد يقود التغير الى صراع نتيجة عدم تقبل الوضعية الاجتماعية السائدة للتغيرات الثقافية الجديدة سواء كان هذا التغير من الداخل أو حدث من الخارج بفعـل عوامل متعددة كالاستعارة الثقافيـة والانتشار الثقـافى وغـيرها ٠

العلاقة بين أنماط الثقافة وانماط الشخصية والسلوك :

يشير سوروكن الى تلك العلاقة بين أنماط الثقافة وأنماط الشخصية والسلوك فى كتابه « الديناميات الاجتماعية والثقافية » فيرى أن النمط المسيطر لحالات الثقافة هو النمط العقلى للكائن الذى يولد ويعيش فى اطاره وعلى ذلك يمكن أن نستنتج فى الحال مظاهر الثقافة من خلال المظاهر العلمية والفلسفية والدينية والأخلاقية والتشريعية وكافة الآراء الأخرى من نظريات ومعتقدات واختبارات وأساليب الاقناع باختصار أن الفلسفة العامة للكائنات الانسانية فى المجتمع تصاغ فى أنماط تصورية ، ويعيش الأفراد فى نفس الوقت ثقـافة حسية مدركة يتشكلون بها فى سهولة ويسر ، ولا يتم ذلك بطبيعة الحال الا من خلال احتكاك نفسى واجتماعى مع تلك الثقافات من واقع ذاكرتهم التى تعى خصائصها وأبعادها وعلى هذا يمكن القول بان الذاكرة تمثل البؤرة التى ينعكس منها كافة الخصائص الثقافية لكل الكائنات الاجتماعية المحيطة بها ٠

ان ذاكرة الانسان سوف تكون رشيدة وواضحة اذا دخل الانسان فى احتكاك فقط مع الثقافات الناضجة الرشيدة التى لها ابعادها ومعانيها العميقة فى اركان البناء الاجتماعى ، وفضلا عن ذلك فانه يحدث نتيجة احتكاك ذاكرة الفرد مع الثقافات المختلفة وتعاملها معها فى رشد وثبات فانه ينتج عن ذلك فتاجا متوافقا من الثقافات المتباينة المعقدة فى ذات الوقت ٠

غير أن ذاكرة الفرد قد تصبح غير متكاملة اذا تكيفت مع ثقافات غـير متكاملة اللهم الا فى الحالات النـادرة التى ينتج عنها مزيجـا من التركيب الثقافى الجديد الذى يحوى عناصر مختلفة لثقافات متباينة ٠

وهناك حالة أخرى حول مشكلة العلاقات بين الأنماط الثقافية المسيطرة

والسلوك الفعلى للأفراد الذين يمثلون أجزاء له وان الاختلاف بين المشكلتين واضح ، قد يتكامل الفرد بأسلوب أفضل وربما يتحمس لتفسيرها وعلى هذا فان كل أفعاله وسلوكه يحدث فيها تباين عظيم مع نفسه وذاكرته فى هذا الحقـــل ٠

وعلى ذلك فان السلوك الواقعى للجماعة قد يصيبه الغرور بالنفس وقد يعميه ذلك عن معرفة أنمـــاط الأشخاص الآخرين الذين قد يتميزون بالشرف والفضيلة والطهارة والتواضع فى المأكل والمشرب وهلم جرا ، وقد يعمـــد ذلك الانسان الى الاعتداء على سلطة القانون ٠

وقد يستطيع الفرد فى هذه الحالة أن يكون حسن السلوك من أجل غاية يعتنقها ويؤمن بها ويدافع عنها وتمثل قيمة ذات معنى فى ذهنه ومعتقده كان يؤمن الفرد بالأمة أو بالرفاهية العالمية ، أو يؤمن بأى فلسفة اقتصادية معينه قد تكون رأسمالية أو قد تكون شيوعية وهلم جرا ، وهكذا ينتج عن الاعتقاد الحسن سلوكا ثمرا وفعالا ٠ ان الفعل أو السلوك غير السوى ربما ينقل الى الغير وتكون له احداث مدمرة من جانب الفاعلين الحقيقيين ٠

كل هذه المعانى المميزة للارتباط الداخلى بين النمط المسيطر للثقافـــة والذاكرة ، والعلاقة بين النمط المسيطر للثقافة والسلوك أمر على جانب كبير من الاهمية ، ويمثل مشكلة تحتاج الى الدراسة ٠

وهناك التفاعل المستمر بين هذه النماذج الفردية وبين السياسات العامة فى المجتمع والتى تدخل فى اطار حركة التقليد الاجتماعى اذا ما كان مصدرها غير متطابق أو متبادل فى التغير وغالبا مالا يجدى السلوك الخاطىء فى فرض نفسه على الجماعة ككل ٠ وفوق ذلك فهناك من الضغوط القوية التى تفرض نفسها على الأفراد من خلال مناطق ثقافية فى أجزاء من المجتمع بحيث تتطابق فى الاتجاه مع قرار السلطة الزمنية « الحكومة » أو تواكب التسلط الروحى ، وبهذا يمكن أن يتكيف الافراد مع كافة الاتجاهات السائدة ٠

ويتوفر لدى المجتمـــع كذلك قوى داخلية تؤثـــر على مســـار الأفراد

---

(١) Pitirim sorokin : Social and Cultural Dynamics, London, 1957 p. 606.

واتجاهاتهم مثل القوى الاقتصادية ، أو بعض الضغوط الثقافية التى تتغير فى ثبات وفى استجابات جزئية لتصبح فى نهاية الأمر مقاييس عالمية أو محلية ، وغالبا ما يرجع الى التقدم العلمى والتربوى تأثيره على أسلوب تحرك الأفراد كأجزاء من كل نحو غايات روحية أو مادية .

يمكن القول اذن أن هناك تفاعلا مستمرا بين الذوات الفردية سواء من خلال السلوك أو الشخصية مع الأنماط الثقافية السائدة ، وقد يمثل هذا التفاعل حركة ايجابية أو سلبية .

الثقافة والأسرة :

ان الثقافة جزء من التراث الانسانى العام ، انها الوسيلة التى يتمكن بها الانسان من التعبير عن ذاته وشعوره بطرق متنوعة وبمعرفة العديد من الانماط الشكلية ، انها تنتقل من جيل الى جيل ، انها تعلم الجيل الحديث خبرات الجيل القديم ، ولكن ايضا وبشكل خاص تعبر عن المشاعر الدفينة عن طريق وسائل الاتصال وتثير عند الانسان أنواعا من القضايا حملها الآباء للأبناء خاصة فى مراحل الطفولة الأولى . ان وسيلة اتصال الطفل بمجتمعه موجوده قبل أن يحصل الطفل على فرصته فى التعليم ، وان افكار الأنماط الثقافية تبدو فى شعورنا وهى كما قلنا تنتقل عبر وسائل الاتصال ، وبطريقة ما فان الأم تضم الابن اليها وتغمره بالسعادة . أو قد تنفره بالغضب عن طريق الصوت الخشن وبذلك يتمكن الطفل أن يتعلم مشاعرها عن طريق اشارات فيزيقية شتى سواء عن طريق التوتر Tension أو الاسترخاء . relaxation .

ان الثقافة بهذا المعنى العام ظاهرة انسانية عامة ، وتبدو واضحة بأى شكل من الأشكال شعوريا كان أو ظاهريا ، ويتمكن الطفل عن طريق المحاولة والخطأ ان يتعلم ثقافة قومه . ان الثقافة تعنى القدرة على التكيف فى المواقف الصعبة ، انها تعنى خلق عالم خاص من الخبرات حيث يتعرف الانسان حتى على بيئات وتضاريس لم يسبق له رؤيتها .

وتبدو انعكاسات الأنماط الثقافية من خلال افعال الطفل فى موقف معين ، وبسبب اعتماده على الخارج فى تلقى تراثه الاجتماعى والثقافى حتى يصبح كائنا اجتماعيا ، ويعتمد فى هذه الحالة على تكوين علاقات اجتماعية

مع غـــيره من الأفراد ، وأن الأطفال فى مرحلة الحيـــاة الطفليـة هم الاعضاء المؤسسون للأســـرة ٠

وعلى ذلك فان الطفل يستطيع أن يدخل منـذ ولادته فى اتصالات على درجة ما من العلاقات مع أشخاص قليلين هم الآباء والأمهات ٠

ولقد تطورت الأسرة خـلال التاريخ الانسانى المعروف وبدت كأنهـا العنصر الانسانى الغازى لثقافة الطفل باعتباره يتحول من حيوان الى كائن انســـانى وليس فقط الصـــفات الفيزيقية أو الحيوية ، بل أيضا تتطور الخصائص الانسانية المميزة من الاستجابة الانفعالية ووسائل الاتصال التى تخلق من الطفل عنصرا متفتح الذهن وأن الطفل كانســـان انما هو عضو فى جماعة الجنس البشرى بصفة عامة ومن حقه أن يلم بالتراث الانسانى (١) ٠

المفهوم الثقافى اذن على صلة وثيقة بالأسرة باعتبارها الوحدة الاجتماعية الأولى فى تكوين المجتمع ، فضلا عن كونها بؤرة الأنماط الثقافية التى عهـد المجتمع اليها بتوصيلها الى أعضائها من خـــلال التراث الثقافى ٠ وتتمكن الأسرة من أداء هذه الوظيفة عن طـــريق عملية التطبيع الاجتماعى ، فالأسرة وهى حاملة الثقافة تنقلها الى أبنائها من خـلال هـذه العملية بحيث يتمكن الفرد أن يتكيف فى سهولة ويسر مع ثقافة المجتمع ككل ٠

وخلاصة القول ان الثقافة بالمفهوم المشار اليه تعد حجر الزاوية فى الدراسات الانثروبولوجية والسوسيولوجية على حد سواء باعتبار تفاعـل وتداخل هذه الدراسات لأنها تتم من خلال مجتمع ٠ أما عن العلاقة بين مفهوم الثقافة والمدنية ، فقد كان الاتفاق واضحا على اعتبار المدنية حـالة خارجية وتتعلق بالآلية والاختراع ٠ وان كنت أميل الى النظرة للثقافة باعتبارها كلا لا يتجزأ ، تتكامل من أجل علاج مشكلات المجتمع بصفة عامة ٠

---

(١) Robert Endleman : personality and social Life, Randomhouse, New York, 1967 p. 27.

(سادسا) الضبط الاجتماعى Social Control

لمفهوم الضبط الاجتماعى أبعاد معينة يتعلق البعض منها بالسلوك ، وكثيرا ما نجد فى التاريخ ظهور وسائل ضبط مختلفة لتوجيه سلوك الفرد والجماعة تجاه مواقف محددة • حتى انه فى عالم الحيوان فقد تمكن «بافلوف» من التأثير على سلوك الكلب فى تجربته المعروفة بواسطة اشارات ظاهرة ومرتبة تعد كوسائل للاتصال الرمزى بينه وبين الكلب • موضع التجربة بمعنى آخر انه استطاع أن يضبط سلوك هذا الحيوان ، الأمر الذى يوحى بالقول بأن عملية الضبط الاجتماعى قد تستخدم بصورة ما فى مجتمع الحيوانات •

أما فيما يتعلق بأبعاد هذه العملية فى المجتمعات الانسانية فان احدا يمكن أن يفترض دراسة السلوك الاجتماعى المنضبط من خلال المقارنات الثقافية الأمر الذى يكون له أهمية تذكر فى اكتشاف مدى عمومية أى عملية ثقافية وقد يؤدى ذلك الى تطور هائل فى المجتمع الانسانى بعد دراسه النظم الاجتماعية الضابطة ، فالأسرة وهى أقدم نظام اجتماعى تعد اداة اجتماعية ضابطة وان خفت حدتها فى المجتمعات الحديثة ، وكذلك الدين أو النظم التربوية والاقتصادية كل هذه نظم اجتماعية ضابطة ولها أثرها فى توجيه سلوك الفرد •

وحول معنى الضبط الاجتماعى ـ فان ضبط سلوك الفرد والجماعة من المشكلات النظرية والتطبيقية فى العلوم الاجتماعية ذلك أن المعاملة التى يتلقاها الانسان من غيره انما تؤثر فى افعاله وتوقعاته عن الغير ، ويدور حول هذه المشكلة أنماط شتى من أفعال الأفراد فقد نجد من الافراد ما يبدو فى سلوكه اليأس رغم أنه يعيش فى أطار مجتمع منظم (١) •

---

(١) John Paul scott & sarah of scott : Social Control & Social change Univ. of Chicago press U.S.A. 196 pp. 6.

ويفسر الفريد ماكلنج لى Mc Clung (١) عملية الضبط الاجتماعى فيرى أنه فى حياة الجماعة الاولية يكون الفرد أكثر حساسية لدوره ، بينما فى الحشد فان الفرد يفقد ذاته وسط حركة الجماهير وفى كلا الحالتين فان وسيلة الضبط غير الرسمى تتم رغم أنف الفرد • بينما ينشأ الضبط الرسمى حين تنطور سلوكيات الأفراد باجتماعهم معا فى اطار اجتماعى ، ويرى «سمنر» أو الفلكلور ربما يمثل أحد وسائل ضبط السلوك باعتباره يمثل ماضى الامة وهو تركة قومية يتوارثها الأبناء عن الآباء وحول الفولكلور كاداة اجتماعية ضابطة فان سمنر يقسمه بين استخدامات وأعراف فالاستخدامات هى أقرب الى التطبيق بينما تعكس الاعراف مقدسات الجماعة ، والاستخدام فى المفهوم البراونى « يعنى الاستخدام الجزئى ثوابا كان أو عقابا » •

ان الاعراف تمثل فولكلور يحمل بين طياته عنصر الجزاء ، ونفـــرق المؤسسات الضابطة بين الجزاءات المنتظمة وهى تشتمل على القواعـد التى ارتضتها الجمـــاعة • والسؤال الذى قد يثور هو كيفية تطبيق الأعراف فى المجتمع المعقد افرادا كانوا أم جماعات ، وكيف يجتمع الاثنان فى اطار مجتمع متغير • ويلعب العمل الصناعى دورا هاما فى تطوير القواعد الضابطة بالرجوع الى المواقف المتكررة التى تواجه الأفراد المكونين لبناء الصناعة • واذا كانت الجماعة تلعب دورا ما فى أرساء النظم الثابتة فانه من المحتمل أن تضع من القواعد والمعايير التى تتمشى مع أهداف السلطات الرسمية •

واذا كنا قد تحدثنـــا عن الأعراف والفولكلور باعتبارهما اداة اجتماعية ضابطة بصورة غير رسمية فان الوقت قد حان للحديث عن الضبط الرسمى • ويتمثل هذا اللون من الضبط فى القانون من خلال تطبيقه فى الاجهزة القضائية والأجهزة المعاونة ، ويطبق بعض الدارسين فكرة القانون على كل القواعـد الاجتماعية التى تنظم عن طريق الجزاءات • ويحدد العـلامة روسكر باند Roscoe Pound القانن بالرجوع الى عملية الضبط الاجتماعى من خلال

---

(١) Alfred Mc Clung Lee : Principles of Sociology, Barnes and Nober Inc. New York 3 edition, 1969 p. 171.

التطبيق النسقى للقوة السياسية المنظمة للمجتمع • ويشتق القانون من مصادر مختلفة كالعادات والتشريع والنظم الادارية ، واذا كان الحكم هو نتيجة الضبط القانونى فان الأعراف تمثل صورة القانون غير المكتوب ، ومن المفيد القول بأن هناك تكاملا بين القاعدة القانونية والنظم الأخرى وبالرجوع الى مالينوفسكى فان قوة القانون تتم من خلال بناء النظم فى المجتمع الحاضر•

ومن الأشكال التى قد تعود الى الضبط الرسمى تلك الوظيفة الاخلاقية للنظام الاجتماعى وهى ان كانت تبدو بشكل ملحوظ فى الجماعات الصغيرة ، الا أنها تمثل أحد وسائل الضبط الرسمى اذا ما تدخل المجتمع بأجهزته فى ارساء هذه القاعدة ، كما أنه فى اطار جماعة العمل تتوفر من القواعد الأخلاقية والرسمية ما يكفل ضبط وتوجيه السلوك الفردى •

انه فى كل مجتمع توجـــد تصنيفات للأفراد والجماعات بالرجوع الى درجاتهم وطبقاتهم الاجتماعية وأخلاقياتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ، وهنا يبرز التباين فى أشكال الأدوات الضابطة لسلوك الأفراد والجماعات بحسب مكاناتهم الاجتماعية •

ومن الوسائل الاجتماعية الضابطة بخلاف القانون والأعراف والقاعـدة الأخلاقية فان هنـــاك السياسة والرأى العام والصحف ، وقد أشار بارك Park فى تقرير له كيف أن الصحافة تمثل اداة اجتماعية ضابطة فى علاقاتها بالعمـل التجارى مثـــلا اذ لها تاثير ضابط على استهلاك الفرد والجمـــاعة •

والضبط الاجتماعى تعريف محدد فى معجم العلوم الاجتماعية يراد به مختلف القوى التى يمارسها المجتمع للتأثير على أفـــراده سواء كان ذلك عن طريق السنن الاجتماعية أو أجهزة يستعين بها لفرض حمايته لمقومات المجتمع وعدم حدوث مظاهر الفوضى نتيجة غياب الضبط ، معنى هذا أن هناك علاقة قائمة بين الفرد والنظام الاجتماعى وتتطرق هذه العلاقة الى أساليب الضبط نفسها ومدى تقبل الأفراد لها كأداة اجتماعية ضابطة •

وترتكز عملية الضبط الاجتماعى بطبيعة الحال على أساس مقرر هو أن النظام الاجتماعى خاضع لقوانين قد تكون عرضة للتخلف حين يستهين بهـا الأفراد رغم أنها تمثـل سلطة ضابطة على سلوكهم ، وعلى المجتمع القيام

بعمل مضاد لهذه الانحرافات حتى يحفظ للنظام العام والمعايير والقيم سلطاتها ونفوذها على الأفراد والجماعات ٠

وسيلة الضبط الاجتماعى فى اقرار أحكامه هى قاعدة الجزاء وله مظهران : فقد يكون جزاء ايجابيا مثل أساليب تشجيع الأفراد واثابتهم على فعل محمود أدره وقد يكون الجزاء سلبيا ومظهره العقوبات لمن تسول له نفسه الخروج على معايير الجماعة وقيم المجتمع ، وبطبيعة الحال فان هذا الجزاء العقابى يتناسب مع حجم الفعل غير السوى الذى قام به الفرد وعلى هذا الاساس يمكن القول أن لعنصر الجزاء وظيفة اجتماعية لأنه يترجم عن ظاهره القهر التى يمارسها المجتمع للقضاء على مظاهر العصيان والتمرد ويتم هذا القهر عن طريق سلطان القانون أو تحت تاثير الشعور بالخوف والرهبة (١)٠

وللضبط الاجتماعى وسائل متعددة تتفاوت فى درجة شدتها وسلطانها بحسب طبيعة البناء الاجتماعى نفسه ، فليس من شك فى أن للعادات والأعراف سلطة قاهرة قد تفوق سلطة القانون الوضعى وذلك فى الجماعات الأولية مثل الريف ، بينما يعتبر القانون وسيلة الضبط الرسمية التى لا غنى عنها فى المجتمع بعامة وفى الحضر على وجه الخصوص ٠

وقد سبق لنا الحديث عن دور النظام التربوى ومؤسساته من أسرة ومدرسة وغيرها ، فضلا عن الحديث عن الدين والقانون كأحد دعائم التنظيم الاجتماعى فى موضع سابق وهذه الوسائل فى نفس الوقت تمثل أدوات اجتماعية ضابطة ولها أثرها وسلطانها على سلوك الفرد والجماعة ٠

وزيادة فى الايضاح أشير فى عجالة الى بعض وسائل الضبط الاجتماعى منها ضوابط اجتماعية تلقائية أذكر منها على سبيل المثال الطرق الشعبية Falkhwavs ويقصد بها الوسائل التى أقرها المجتمع ليصوغ أفراده سلوكهم فى تعاملهم وعلاقاتهم وفقا لها وتتميز هذه الطرق بانها تكون عشوائيا داخل نطاق الجماعة لأن اساسها المحاولة العشوائية لاشباع الحاجات الطبيعية الضرورية ، وقد عبر العلامة سمنر Sumner عن تلك الطرق بقوله انها تشبه

---

(١) د ٠ مصطفى الخشاب : الضبط الاجتماعى ـ معجم العلوم الاجتماعية الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ ص ٣٥٧ ٠

نتائج القوى الطبيعية التى يستغلها الانسان ويستخدمها فى ممارسة أعماله دون قصد • وتميز أيضا بالاستمرار وان لها صفة الدوام فهى تتحدد من جيل الى جيل عبر التراث الاجتماعى والثقافى ودون تغـــيير ، وفوق ذلك فانها تستطيع أن تتوافق مع رغبات وميول الناس لانها تنطوى على ما تواضـع عليه الأفراد من تفاعل سلوكى فى سبيل ترشيد الأفراد الى السلوك السوى •

أيضا من وسائل الضبط الاجتماعى التلقائية ما يعـــرف بالآداب الاجتماعيـــة mores وهى عبارة عن طرق شعبية لها وثيق الصله بتحقيق صالح الجماعة والحفاظ على مقومات المجتمع • وقد تكون هذه الآداب الشعبية اساسا طرقـــا شعبية ولكن نظـرا لحدوث تحول فى الظـروف والملابسات الاجتماعية يحدث داخلها نوع من التغير بحيث تتحول الى آداب اجتماعيـة ولها قوة ملزمة لانها وثيقة الصلة بالقيم الأخلاقية • وللآداب الاجتماعية قوة الحقائق الاجتماعية بسبب اصالتها وانحدارها من الأجيال الماضـــية الى الأجيال اللاحقة مع ثباتها وعدم تغيرها وجمودها النسبى ويدخل فى نطاق الآداب الاجتماعية النواحى السلبية والنواحى المقدسة التى يطلق عليها اسم « التابو » او المحرمات وهى مجموعة الأفعال التى يتحاشى الأفراد اتيانها لانها تستند الى جزاء دينى أو خلقى رادع •

ومن وسائل الضبط الاجتماعى التقليدية : الأعراف وهى أداة تلقائيـة فى الضبط الاجتماعى ، ولقد سبق القول أن السنن الاجتماعية ومنها العرف تمثل سلطة اجتماعية ضابطة فى المجتمع القروى أو البدائى قد يفوق سلطان القانون ويشير العرف الى تلك الأفكار والمعتقدات التى يعتقد فيها الفرد ولذلك لا مناص من التخلى عنها باى حال لان لها وظيفـة اجتماعية ظاهرة وكثيرا ما نلحظ صرامة هذه الوظيفة عبر التاريخ فى المجتمعات والأمم والشعوب فقد كان الثار على سبيل المثال من القواعد العرفية التى تطلبتها المعتقدات الدينية عند عرب الجاهليـــة •

ومن الوسائل الاجتماعيـــة الضابطة الرأى العـــام ويعنى التعارف والتفاهم المشترك بين المجموع فى مجتمع من المجتمعات ، وتبدو فاعلية الرأى العام فى المظاهر السياسية والاقتصادية مثلا ، فالرأى العام هو القوة المسيرة لكافة الحركات السياسية الاقتصادية ولذلك لا غرابة فى أن تعنى المجتمعات

باهمية الرأى العام ووظيفته الاجتماعية كاداة اجتماعية ضابطة خاصة اذا ما علمنا أنه يعنى مفهوم الموافقة الغالبة أو الرضى العـــام أو الرأى الجامع الذى ينشأ نشأة تلقائية كجزء من تكون المجتمع الثقافى والذى يطلق عليـــه اصطلاح الرأى العام المستقر لأصالته فى البناء الاجتماعى • وتجـدر الاشارة الى أن كل فـرد يخشى الخروج عن معايير الجماعة وتقاليدها لأنها تستمد قوتها من قوة الرأى العام ، ليس على المستوى المحلى فحسب بل اننا نلمس اليوم تعاظم دور الرأى العـــام العالمى فى التأثير على مجريات الأحداث • ان الرأى العام هو مصدر التشريعات والقوانين الضابطة فى الجماعة الديمقراطية لأنه نابع من ارادة الجماعة ويعبر عن العقـــل الجمعى • كما أنه يعمل على حماية المثل العليا والقيم ويستهجن بشدة كافة الأفعال غير السويه (١) •

والى جانب هذه الضوابط الاجتماعية التلقائية ، هناك وســائل للضبط الاجتماعى الرسمى ممثلة فى سلطة القانون او فى أجهزة الرقابة الاداريه وغيرها وهى تستند بطبيعة الحال الى القاعدة القانونية كأساس لفرض سلطانها وانزال العقاب الرادع على الخارج على أحكامها وفى نفس الوقت اثابة المكافح على افعاله الحميدة ، وقد سبق مناقشـــة وظيفة القانون كاداة ضابطة فى موضـــع ســابق •

يمكن القول اذن أن الضبط الاجتماعى من المفاهيم الأساسيه فى علم الاجتماع وهو عملية اجتماعية أساسية لها أبعادها ووظائفها الهامة وهى تعمل على تماسك البنيان الاجتماعى وتقضى من آن لآخر على كل عوامل الوهن والباثولوجيا الاجتماعية ، ومن هنـــا كان الدافع لمناقشة هذا المفهوم بشكل موجز فى العجالة السابقة •

---

(١) د • احمد الخشاب : الضبط والتنظيم الاجتماعى القاهرة الحديثة ١٩٥٩ ، ص ٦٤ •

(سابعا) التدريج والحراك الاجتماعى

Social Stratification and Mobility

يشير مفهوم التدرج الاجتماعى الى وجود تباين بين سكان المجتمع فى الوضع الطبقى حيث نلحظ وجود طبقات راقية واخرى فى مستوى متواضع وربما يرجع السبب وراء ذلك الى سوء توزيع الحقوق والامتيازات والواجبات والمسئوليات تحت تأثير القيم الاجتماعية السائدة او ضغوط القوى الاجتماعية المؤثرة ، وتجـــدر الاشـــارة الى أن الأشكال الجامدة للتدرج الاجتماعى سوف تبدو بالضـــرورة فى المجتمع بصرف النظر عن كونه مجتمعـــا رأسماليا أو اشتراكيا طالما كانت المكانة الاجتماعية للأفراد موزعة بصورة غير عادلة ٠

كذلك هناك عوامل جوهرية تخلق التدرج الاجتماعى فى المجتمع وتعمل جنبا الى جنب بحيث تحدث التدرج ، وهذه العوامل تنشأ نتيجة التباين بين الأفراد وبيئاتهم بحيث تحدث أشكالا شتى للتدرج الاجتماعى ٠ كذلك هناك أمور تؤدى الى التدرج أو قد تخفيه مثل كبر حجم الجماعة وعدم تجانس أفرادها ، أو اختلاف قدرات الأفراد ونوعياتهم (١) ٠

وينظر الفرد لى Lee الى موضـــوع التـــدرج من منظار مهنى حيث يرى أن ظاهرة تقسيم العمل تساعد على تنظيم الأنشطة المجتمعة من خـلال المهن التى تدفع الأفراد الى الالتقاء من خلال ثلاث طرق : تكنولوجيا بتأثير الاتجاه الترشيدى فى العمل ليخصص لكل فرد دورا فيه ، واقتصاديا حيث يتشبث الفرد بمهنة معينة لأنها تـدر عليه عائدا مجزيا ٠ واجتماعيا ، من خلال الأعراف داخل المجتمع ٠ ان الدخل والمكانة يؤديان الى خلق وضع مهنى يساعد على ظهور التدرج فى النظام الاجتماعى ، ومن ثم يخلق تباينا بين

---

(١) Pitirim A Soro Kin : Social and Cultural mobility, The Free Press of glencoe, 1959 p. 343.

الأفراد والجماعات بحسب مكاناتهم وطرائق معيشتهم وأوضاعهم داخل المجتمع • وهذا التباين التكنولوجى الاجتماعى الاقتصادى يقسم الأفراد الى جماعات معتمدة على بعضها داخليا فى تدرج بنائى (١) •

وهناك علاقة وظيفية بين مفهوم التدرج والنظام الطبقى فى المجتمع وقد سبق الاشارة الى ذلك فى مطلع هذه الفقرة ، ويهمنا أن نوضح طبيعة هذه العلاقة من خلال حديثنا عن المفهوم الطبقى •

واذا حاولنا دراسة المفهوم الطبقى وخصائص المجتمع المحلى لقلنا ان النسق الطبقى فى اى وقت من الأوقات يعكس بعمق التاثير الكلى الشامل لحياة المجتمع المحلى ، وتبدو علاقة المفهوم الطبقى بالمجتمع المحلى فى صورة واضحة اذا ما عكسنا باختصار وظائف الطبقة فى المجتمعات المختلفة ، ذلك أن النسق الطبقى هو انعكاس لقيم ، حيث نلاحظ فى الولايات المتحدة وجود التمايز الطبقى بصورة مؤكدة مع الوضع فى الاعتبار عملية الحراك الاجتماعى فضلا عن وجود درجة من الترابط بين الخط الطبقى والشعور بالقومية أو التمايز الجنسى والسلالى والتطور المستمر فى الارتفاع بمستوى المكانة الاجتماعية بينما نجد فى انجلترا رغم توفر الظروف الديمقراطية السياسية نجد جذورا عميقة للتفاوت الطبقى مؤسسة على اتجاهات تاريخية عميقة وهذا يشير الى تباين الأنساق الطبقية مع الوضع فى الاعتبار التباين فى الأبنية الاجتماعية ، هذا فضلا عن تاثير العادات والتقاليد كما يحدث مثلا فى مجتمعات كبيرة الحجم مثل الهند والصين من خلال مظاهر الحياة الدينية والتربية والمهنة حيث أن هذه المظاهر محكومة بنمط من الوضع الطبقى الجامد •

أما عن كيفية تاثير هذا النسق الطبقى على حياة المجتمع ، نلاحظ أن من خصائص الوضع الطبقى الانغلاق والجمود بتاثير المولد أو الثروة او المهنة أو درجة التمايز الاجتماعى أو درجة ثقافة الجماعة وبصفة عامة بتاثير العملية الكلية للاختيار الاجتماعى وأبعد من ذلك تاثير درجة التمايز فى القدرات والفرص التقدم ، وقد يضطر بعض الأفراد أن تتاح لهم فرص التمايز

---

(١) Alfred Mcclung Lee : op. cit. p. 214.

الشخص خاصة فى الداخل وهذا يشـــير الى روح التنافس بين الافراد ، وفى بعض الأحيان فان الوظيفـــة الاجتماعية للطبقة العليا ترتبط بمكانتها التى ترتبط بالتالى بالمجتمع الذى وهبها لهؤلاء الأفراد وقد يرجع اساس الوضع الطبقى ليس فقط الى الملكية أو القوة فقد يكون راجعا الى الثقافة • ولدينا شواهد تاريخية تدل على أن القوة والثقافة يسيران جنبا الى جنب فى تثبيت أو تغيير الأوضاع الطبقية •

وقد يحدث تحولا فى الانساق الطبقية ، اذ حين نتحدث عن مفهوم التغير الاجتماعى فانه من الأهمية بمكان ان نشير الى العلاقة بين الأوضاع الطبقية ومدى تاثيرها على البناء الاجتماعى ، وزيادة فى الايضاح فانه من منظـور تاريخى نجد أن هناك علاقة بين الطبقة والتغير الثورى فقد جاء التحول الطبقى مصاحبا لكافة الحركات الثورية ، ويرجع «باريتو» هبوط مكانة الصفوةفى المجتمع الى حدوث خلل فى تكوينها الكيفى ، بينما يرجع أتباع ماركس التغير الطبقى الى عوامل مادية ومثالا لذلك مدى التحول فى نظام الاقطاع ، فقد كان تحولا فى الأوضاع الطبقية فى المجتمـع ، كذلك فان ظهور المكانة الاجتماعية للرأسماليين بعد انهيار النظام الاقطاعى يعطى دليلا على ظهور طبقة جديدة فى المجتمع ويعتبر ذلك تحولا طبقيا ، ويرى ماركس واتباعه أن طبقـــة البروليتاريا ينبغى أن تقوض النظام الرأسمالى فى العالم الغربى •

أما عن عملية التحول الطبقى فى امريكا فقد تاثرت بطبيعـــة الحـــال بالثورة الصناعية رغم الاصـــلاح الاقتصادى بين طبقـــة الفلاحين والتجار وصغار الرأسماليين بدون صراع ، غير انه بعد اتســـاع المشروع الاقتصادى وتركز رؤوس الأموال وسيطرة الثروات ادى كل ذلك الى ســـيادة القوة واستيراد عمال من طبقات فقيرة (١) •

معنى ذلك أن هناك علاقة عضوية بين مفهوم التدرج والمفهوم الطبقى وان شئنا قلنا ان التدرج الطبقى فى المجتمع انما هو محصـــلة تضافر مجموعة من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية ••• الخ تعمل على تثبيت أو تحول هذا التـــدرج •

---

(١) Mac Iver : Society op. cit. p. 378.

ويعنى مفهوم الحراك الاجتماعى Social Mobility التحول سواء فى مكانة الفرد أو التحول فى القيم أو التحول من وضع طبقى الى وضع طبقى آخر وبطبيعة الحال فان هـذا التحول أو مانسميه بالحراك تكون له آثاره ونتائجه على وضع الفرد أو الجماعة أو الطبقة داخل المجتمع ٠

ويرى سوروكن فى كتابه « الحراك الاجتماعى والثقافى » ان هناك نمطين للحراك الاجتماعى احدهما افقى والآخر حراك رأسى ، فالحراك الافقى يعنى التحول سواء بالنسبة للفرد او الجماعة من موضع وآخر مشابه وعلى نفس المستوى كما يحدث حين يتحول الفرد من وضع كنسى معين الى وضع كنسى آخر ، أو انتقال عامل من مكانة اجتماعية الى مكانة اخرى فى نفس الطبقة كما أن هناك حراكا فى الموضوعات الاجتماعية كما يبدو من خلال وظيفة الراديو مثلا أو ظهور تقاليع اجتماعية أو انتشار مبدأ اقتصادى معين كالشيوعية ٠

ويعنى الحراك الرأسى Vertiical تحولا من جانب الفرد او الموضوع الاجتماعى من حالة اجتماعية الى أخرى ، وهنـــاك نمطان للحراك الرأسى ، فهناك الحراك الصاعد والحراك الهابط ، واذا رجعنا الى مفهوم التدرج لوجدنا ان هناك أحداثا اقتصادية او سياسية أو مهنية تنتج عن الحراك ايضـا ، وتعنى الاحداث الصاعدة انتقـــال الفرد من وضع طبقى هابط الى وضـع آخـــر راق (١) ٠

وتجدر الاشارة الى أن هناك متغيرات اجتماعية متعددة يحدث من خلالها الحراك وعلى سبيل المثال انتشار التعليم سببا فى حدوث حراك اجتماعى بين الأفراد بمعنى ان الفرد الذى كان فى وضع طبقى هابط اقتصاديا ويندر أن يتحول الى وضع طبقى صاعد من خلال المستوى الاقتصادى ، فمكن بفضل التدرج فى مراحل التعليم المختلفة من أن يحدث حراكا اجتماعيا وينتقل من طبقة اجتماعية معينة الى طبقة اجتماعية فى مستوى تعليمى ارقى ، وبذلك كان المتغير التعليمى أحد العوامل المؤثرة فى تنشيط عملية الحراك ٠

وهكذا نلاحظ فى المجتماعات الريفية خاصة بعد القضاء على الاقطاع حدوث حراك اجتماعى عند الطبقة الفلاحية ، فنجد أن بعض الريفيين نظير

---

(١) Sorokin : Social and Cultural Modility op. cit. p. 133.

توزيع الأراضى الزراعية عليهم قد انتقلوا من طبقة اجتماعية الى طبقة أخرى بعد أن كانوا يمثل طبقة المعدمين ، أصبحوا بعد قانون الاصـــلاح الزراعى يدخلون فى اطار طبقة ملاك الارض ولو كانت نسبة الملكية متواضعة واننا نلحظ ظاهـرة الحراك الاجتماعى الراسى فى المجتمع الريفى بصورة أوضح المـدينة نظرا لتقـــارب المستويات الاجتماعية والاقتصادية فى مجتمـــع المدينـــة ٠

وفى دراسة للتغير الاجتماعى فى القرية المصرية لاحظ الباحث (١) ٠ أن التنقل أو الحراك الاجتماعى فى القرية فى فترة ما قبل التغير كان له خاصيتان ، فالقرية كمجتمع « كانت » صغيرة Limited الأولى : أنه كان حراكا محدودا ولهذا كان التنقل محدودا من حيث السرعة والمدى ٠ والثانية أن الحراك كان أفقيا Horizontal لان الزواج اذا لم يغير من الوضع الراسى الفرد الذى ينتقل من عائلة لأخرى فانه يكون تنقـــلا أو حراكا أفقيا كما يشير ذلك الى ســوركن ٠

أما بعد حدوث التغير الاجتماعى فى القرية فلقد أصبح للحراك الاجتماعى عدة خصائص فقد أصبح غير محدود Unlimited لان الحواجز القديمة لم تعد تمنع امتداد العلاقات فى أى اتجاه ومن هنا زادت سرعته ٠ كما أصبح الحراك أفقيا لا يقتصر فقط على الزواج بل يمتد الى عدد من العلاقات المختلفة لجميع الأفراد من الجنسين فى مختلف فئات السن ٠ كما أن هنـــاك حراكا راسيا حيث انتقال الاسر من وضع اقتصادى واجتماعى من طبقة الى أخرى نتيجة الملكيات ٠ وكان من سمة الحراك أو التنقل الاجتماعى بعد التغـــير للقروى توسطى Intermediary بمعنى أنه أصبح غـير واضح بسبب انتقال الأفراد من مركز الى آخر غير محدد ٠

وبطبيعة الحال فان الحراك بمظهرية الرأسى والأفقى يتأثر بالنمـــو السكانى ، مهما كانت أسباب حدوث الزيادة السكانية سواء كانت أسباب

---

(١) د ٠ عاطف غيث : القرية المتغيرة دار المعارف بمصر ط ٢ ــ ١٩٦٤ ص ٢٢٨ ٠

تقليدية تتعلق بالقيم السـائدة أو أسبابا تتعلق بالاتجاهات الديمقراطية والظروف الاجتماعية (١) بمعنى أن هذه الزيادة السكانية تلعب دورا خطيرا فى ظهور مشكلات اجتماعية لها أثرها على الوضع الطبقى لأى فئة اجتماعية وأبسط مثل على ذلك أن زيادة عدد أفراد أسرة ما يؤدى الى توزيع ملكياتها بالتالى مما يؤدى الى انتقالها من وضع طبقى معين الى وضع طبقى آخر .

(١) John Lewis Gillin and Others : Social Problems 4th Edition New York Appleton — Century Crofs 1952 p. 146.

obeikandl.com

المراجـع العربية

١ ـ د ٠ احمد الخشاب : **العلاقات الاجتماعية ط ١** الانجلو المصرية ١٩٥٧ ٠

٢ ـ د ٠ احمد الخشاب : دراسات فى النظم الاجتماعية ط ١ القـــاهرة الحديثة ١٩٥٧ ٠

٣ ـ د ٠ أحمد الخشاب : الضبط والتنظيم الاجتماعى القاهرة الحديثـــة ٠

٤ ـ د ٠ السيد الحسينى وآخـــرون : علم الاجتماع الريفى والحضرى ٠ دار الكتب الجامعية الطبعة الثانية ١٩٧٥ ٠

٥ ـ بوتومور : تمهيـد فى علم ترجمـــة د ٠ محمـد الجوهرى وآخـرون ٠ دار الكتب الجامعية الطبعة الثانية ١٩٧٣ ٠

٦ ـ د ٠ حسن الساعاتى : علم الاجتماع الخلدونى دار المعارف ط٣ ١٩٨٥ ٠

٧ ـ دوركايم : قـواعد المنهج فى علم الاجتماع ترجمـــة د ٠ محمود قاسم ٠ النهضة المصرية ١٩٦١ ٠

٨ ـ د ٠ زيدان عبـد الباقى : قواعد البحث الاجتماعى ط ١ دار المعـارف ١٩٧٤ ٠

٩ ـ د ٠ عبد الحميد لطفى : علم الاجتماع ط ٥ دار المعارف ١٩٧٣ ٠

١٠ـ د ٠ عبد العزيز عـزت : علم الاجتماع الصنـاعى ٠ الانجلو المصرية ١٩٦١ ٠

١١ـ د ٠ عبد العزيز عزت : الاجتماع الأخـلاقى ٠ الانجلو المصرية ١٩٥٩ ٠

obeikandl.com

١٢ـ د ٠ على فؤاد أحمد : الاجتماع الريفى ٠ القاهرة الحديثة ١٩٥٩ ٠

١٣ـ د ٠ عاطف غيث : التغير الاجتماعى والتخطيط ٠ دار المعارف ١٩٦٦ ٠

١٤ـ د ٠ مصطفى الخشاب : تاريخ التفكير الاجتماعى وتطوره ٠ الأنجلو المصرية ١٩٧٥ ٠

١٥ـ د ٠ مصطفى الخشاب : دراسة المجتمع ٠ الانجلو المصرية ١٩٧٥ ٠

١٦ـ د ٠ مصطفى الخشاب : علم الاجتماع الحضرى ٠ الأنجلو المصرية ١٩٧٦ ٠

١٧ـ د ٠ مصطفى الخشاب : دراسات فى علم الاجتماع الاقتصادى ٠ مطبعة لجنة البيان العربى ١٩٥٧ ٠

١٨ ـ د ٠ مصطفى الخشاب : المدارس الاجتماعية المعاصرة ٠ دار المعارف ١٩٧٥ ٠

١٩ ـ د ٠ مصطفى الخشاب : النظريات والمذاهب السياسية ٠ مطبعة لجنة البيان ١٩٥٨ ٠

٢٠ـ د ٠ مصطفى الخشاب : مفهوم الضبط الاجتماعى ـ معجم العلوم الاجتماعية ٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ ٠

٢١ـ د ٠ محمد الجوهرى وآخرون : دراسة علم الاجتماع ط ٢ ٠ دار المعارف سنة ١٩٧٥ ٠

٢٢ـ د ٠ محمد طلعت عيسى : مناهج التدريب العملى ٠ القاهرة الحديثه ١٩٥٧ ٠

٢٣ـ د ٠ محمد عارفة : المنهج فى علم الاجتماع ط ٢ الأنجلو المصرية ١٩٧٥ ٠

٢٤ـ د ٠ محمد على محمد : مناهج البحث وأدواته (دراسة علم الاجتماع) ط ٢ دار المعارف ١٩٧٥ ٠

٢٥ـ مقدمة ابن خلدون ـ تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى ٠

obeikandl.com

obeikandl.com

المراجـــع الافرنجيـــة

1 — Alvin Bertrand : Basic Sociology, an Introduction to Theory and method, Appleton Century-Crofts, New York, 1967.

2 — Alfred McClung Lee : Principles of Sociology, Barnes & Nable Inc., New 3 Edition, 1969.

3 — A.T. Wel Ford & others : Society, Problems and methods of study, Routledge, Kegan Paul, London, 1962.

4 — Bell, Sirjamaki : Social Foundations of human Behavior & Ediition, 1961.

5 — Cecil S. Enden : The people and the constitution, Second Edition Oxford Univ. Press, 1956.

6 — Dennis H. Wrong & Harry L. gracey : Readings in introductory, The Macmillan Comp. London 1969.

7 — Don Martindale : Social life and Cultural change D. Van Nostrand comp. Inc. New York, 1962.

8 — Don Martindale : Institutions Organizations and Mass Society Houghton Miffline comp. Boston U.S.A. 1966.

9 — Everett K. Willson, Sociology, The Dorsey Press Home wood Illionois Second Printing.

10 — Emory S. Bogardus : Sociology, New York, The Macmillan comp. 4th Edition 1954.

obeikandl.com

11 — Edward A. Tiryakian : Sociological Theory values, of sociocultural change the free press of glencoe, London. 1963.

12 — Ferdiinand Tonnies : Community & Society Trans by Charles P. Loomis, The Michigan state Unic. Press U.S.A. 1964.

13 — Francis R. Allen : socio-Cultural Dynamics, The Macmillan comp. New York, 1971.

14 — Francis R. Allen : Technology and social change.

15 — George A. Lundberg : Foundations of sociology, New York, The macmillan comp. 1939.

16 — George A. Lundberg & others : Sociology Harper, New York, 1958.

17 — George H. Sabine : A History of Poliitical theory 3 Edition, Oxford & I.B.H. Publishing comp. New Delhi, 1961.

18 — George Peter Murdock : Culture and Society U.S.A. 1965.

19 — John Lewis gillin & others : Cultures of sociology third Edition, The Macmillan comp. New York, 1930.

20 — ames F. Downs : Cultures in crises, glencoe press collier-macmillan Ltd, London 1971.

21 — John Paul scott and sarah F. scott : social control and social change Univ. of Chicago Press U.S.A. 1971.

22 — John Lewis gillin & others : Social Problems 4th Edition NewYork Appleton-Century Crofts Inc. 1952.

23 — John F. Cuber : Sociology, Appletoncentury crofts. Inc. New York, 1947.

24 — John Lewis gillin : Cultural sociology, the macmillan comp. New York(1948.

25 — Kingsley Davis : Human society, the macmillan comp. New York,

26 — Lewis A. Coser and Bernard Rosenberg : Sociological theory second Edition, Collier Macmiillan, New York, 1967.

27 — Max Hortheimer : Aspects of sociology by the frankfort Institute for social Research, trans by john viiertel. Heinman, 1973.

28 — Morris ginsberg : Sociology, 1961.

29 — Marvin E. olsen : The Process of Social Organization, Holt, New York, 1968.

30 — Mervill : Society and Culture, Prentice Hall, Inc. 4th Edition, 1953.

31 — Max Weber : Basic concepts in sociology trans by H. P. secher, the citadel press, New York, 1963.

32 — Milville J. Herskovits : Cultural anthropology, Oxford & 9 BH Publishing comp. New Delhi 1958.

33 — Max Weber : The Theory of social and Economic Organization, Trans by Parsons, the free of glencoe collier-Macmillan U.S.A. 1964.

34 — Nicholas S. Tima sheff ; sociological Theory, Its Nature and growth, Random house, New York second Printing 1957.

35 — Noel gist and sylvia Fleis favor : Urban society fifth Edition, Crowell New York, 1965.

36 — Norman W. Bell and Ezva F. vogel : A modern Introduction to the family, the free Press of glencoe.

37 — P.T. Bauer : Economic Analysis and policy in under developed countries, London, Routledge kegan paul LTD second Edition 1966.

38 — Pitirim A. sorokin : ocial and cultural Mobility, the free press of glencoe 1959.

39 — Paul E. Mott : The organization of society, prentice Hall Inc. Engle wood Cliffs, New Jersey, 1965.

40 — Pauline V. Young : Scientiific social surveys and Research 4th Edition new Delhi, 1973.

41 — Pitirim Sorokin : Social & cultural Dynamics, London, 1957.

42 — Robert E. L. faris : Social Disorganization, the Ronald Press comp second Edition, New York, 1955.

43 — Richard T. lapiere : social Change Mcgraw-Hillbook comp. New York, 11965.

44 — R.M. Mac Iver and charles H. page : society An Introduction Analysis Macmillan compK Ltd. London 1953.

45 — Robert . Merton : social Theory and social structure, the Free Press New York, 1968.

46 — Robert A Dahl : Modern Political Analysis second Edition Prentice Hall of India Private Limited New Delhi, 1972.

47 — Robert Endleman : Personality and social life Random house, New York, 1967.

48 — .F. Nadel : The Theory of social structure. The free Press of glencoe, Illionois, First published 1957.

49 — Theodore D. Kemper : Te Division of Labor, In American sociological Review, V. 311 No. 6 December 1972.

50 — The Encyclopedia of the social sciences.

51 — Talcott parsons & others : Theories of society V. II free Press of glencoe U..A. 1961.

52 — Taicott Parsons : The social system Indian Editan Newdelhi 1972.

53 — William fielding ogburn ogburn : Sociial change the viking press. Inc. New York, 1922.

54 — Williiam F. Ogburn and Meyer F. Nimkoff : A Handbook of sociiology, New Delhi, 1964.

55 — Charles Ploomis & Zona K. Loomis : Modern social Theories D. Van Nostrand comp. Inc. New York 1961.

56 — Jessie Bernard : sociology sixth Edition the Cv. Mosby comp. 1962 U.S.A.